سبع ليال

أو

حديث أديب بائس

بقلم

محمد عبد الجواد حباب

سنة ١٣٤٠ هـ — سنة ١٩٢٢ م

الطبعة الأولى

مطبعة الاعتماد

اهداء الكتاب

إلى الاستاذ الاديب والكاتب [illegible] صادق افندى [illegible]

ارفع لمقامك السامى أجل تحية وازكى سلام.

[illegible] وقد أتيح لتلميذك ان يخوض غمار التأليف ويقتحم بحار التصنيف بما زادت به من حسن ادبك واقتبسه من [illegible] علمكم، وتشبعت به من غزير فضلكم، فأبرز هذه الليالي التي اشتبكت [illegible] وإن كان [illegible] من قبس علمه الزاخر [illegible] يسكب الزاهر [illegible] ما لأستاذ على من عظيم الاحسان وكبير الامتنان حتي اصبح [illegible] سارى فى ميدان الاقلام. فالحق [illegible] ان أصل فيها كمة الحقيقة ـ انما هو مقتبس من فضلك، وقطرة من بحر نوالك وفضلك

كما [illegible] السماء وماله [illegible] عليه لانه من مائه

وهذه أول باكورة أعمالي أرجو ان تحوز لديكم قبولا وتصادف من عنايتكم رعاية وشمولا، وتقع لديكم موقع الاستحسان ؟

تلميذكم المخلص

محمد عبد الجواد



مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان. وجعل اللسان
ترجمان الفكر ودليل الفؤاد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبي العربي وعلى آله وصحبه ذوي [illegible] العالي و[illegible] الجليل [illegible]
وسلامًا دائمًا متلازمين [illegible]

أما بعد فإني [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]
ولا شكورًا إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت [illegible]
[illegible]
[illegible] حسن [illegible] فلم [illegible] أن [illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible] الصفات أو الأخرى [illegible]

وقد [illegible] في وضع [illegible] التي [illegible] الحديث وقد سلكت
طريقًا حسنًا فأحدثت [illegible] في نقل المسائل وترتيب [illegible]

وحسن العبارة ، والتحري عن كثير من الكلمات التي كثيرا
ما يسمع بها فأثبتها على أصولها ، شارحا بعض الألفاظ التي أحد
استعمالها على الفهم أو ينبو عنها آتيا ببعض المسائل التي تدل
القارئ من الأمور التي يمكن حدوثها في بلادنا أو التي كانت من
العادات القديمة التي سلكها أجدادنا وآباؤنا فأتى الكتاب بحمد الله
حافلا بمهمات المسائل الأدبية والاجتماعية في باب لم يه أحسن

والله أسأل أن يجعل نفعه عاما وطي مدد إخلاصي في العمل
به جميع الدهماء وبالإجابة جدير

مصر في ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ محمد عبد الجواد حبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى »

الليلة الاولى

في ليلة من ليالى الربيع المقمرة ، بنا في المصيف وحيا حسبي المخدع وحد بى الأرق فأحد مى كل ما أحد وجعلت لا جفنة تغرني من الكرام على اعو الكلام ، وكان كلما لرمن راد بى الألم ، فتحت النافذة ودفع منها نار من القمر اشعت طمه بمكان فتناسمت فيه نارو الامل ، فعد الجهت أفكارى نحو شعاعه الذهبي فأدهاني عما بى من الغي [٢] وتحول بصرى نحو هذا السمير الآلهي والسمير الرباني . الذى سخره الله لناس يه و به عدد السنين والحساب

ولما يمض لى غير هنيهة من الوقت ، وردح نصيرمن لرمن

---

١ ... ٢ اتعسو لالم

حتى هجمت على وبرات بي بارلة من الصحر لم أستطع لها صبرا ، فعيرت وجهي ورمت فرشتي فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار . فملت بها من ليلة ، ولما فعد بي ما حولي ، ولم يشفعني مرلى ثم ذهب رحارفه ومحاسنه فامي . قالت في نفسي ، لآن أفارق الدار وأترك الجدار الى الخلاء والفيفاء حيث السماء والارض ما إن بين الا عتعان الطرف ويبهجان الصدر بكل طرفة من احمال وأعجوبة . فخذا بات الملاع تطرق فرد والاتحاد وحدة الى النفس سبيلا ، ولا نصيب الوحشة على النفس ذيلا ، وأن لا أين من الوحدة وأن لى في ذهب السماع سميرا وفي كل حصباء عبرة سوداء ، ربرحدة خضراء ، ذلك المكان أنيسا ، وفي كل ورقة بالايك صديقاً ، وبكل زهرة على ذات سماط رفيقاً ، وكل عصفورة تفترش متون الاغصان خليلا ، وكل طائر يردد سجع منطقه ضربا من الموسيقى حيث كان هذا قضى هزيع من الليل بين بالمصير ومضى منه شطر كبير ثم عالت نفسي وعاطتها فخرجت وقد تمطت عبارة وتسلحت بسلاح المؤمن [1] وأنا

---

١ الوضوء

أقول رب أخرجني مخرج صدق وأدخلني مدخل صدق
واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً

خرجت من مسكني وقد أرسل [illegible] أشعته على سطح
البحيرة فكانت كأنها عروس بالعسجد أو عرس [illegible] وتريد كمعان
وبدت [illegible] كأن لرماح الخضية صداء و[illegible] على
أوراق الاشجار والازهار وكانت تتلألأ في صوته الانوار
[illegible] وقد انكسرت عليه أشعة من خيوط الشمس الذهبية .
[illegible] الخفاش وقد عم السكون الكون فلا حركة الا حفيف
الاشجار ولا حفة [illegible] الازهار

سرت من هذه [illegible] وقد تطاير من بين
حصى الشرر [illegible] وقد حمي الوطى [1] حتى وصلت
الى الميل السعيد وقد حرت الشيعة [illegible] فكان وقد
تسلطت عليهم حبس من نمر وشعاع من ذلك مخلوق الحجر
كصرح ممرد من قوارير لا عوج فيه ولا أمتا [2] فوجدت
مقعدي على [illegible] صعدت هناك لأستريح [illegible] مثلي

---

[1] [illegible] القدمين [illegible] ماء فيه ولا نعاص

ولامتع نفسى وأشبع نظرى من هذا المنظر البهي وذاك الرواء الطبعي

وبينما أنا كذلك إذ نظرت عن بعد ووقع نظرى عن غير قصد على شبح يسير الهوينا يظهر ثم يختفي ويكبر ثم يصغر كأنه الآخر قد نظرني فأخذ في تحقيق ذلك فقلت أعوذ بالله من شر ماخلق غير أنه لم يلبث غير قليل حتى اختفي وعن ناظرى توارى فأسندت رأسى الى المقعد فلم اشعر الا بيد قد مدت وفم قد تكلم وحيا تحية أهل الملة السمحاء فحييته بأحسن منها واستويت واقفا على قدمي مخاطبا اياه أمن الارض خرجت أم من السماء هبطت فمن الارض والى الارض المصير

وكان ذلك الشبح شابا فتيا معتدل القامة ربعه نحيف الجسم ضعيف البنية، غير ان امارات الذكاء وعلامات الفطنة بادية على وجهه حتى ليخالها الرائي منقوشة بين حاجبيه ثم جلست وجلس بجانبي موليا وجهه قبل الماء ومنها نحو السماء كأنه يستطلع منها حدده أو يناديها لتذهب عنه همه وغمه فقلت في نفسى لاتخذنه الليلة رفيقي وسميرى ولا افارقه إلا رغم أنفي وصدرى ولا بعث شعرة تقيد على أحيط خبرا بحاله ومابرحيه، فحييته فألا. هل يرشدنى سيدى

خيره فقال اما الآن فلا ثم لوي وجهه شطر الماء وعاد الى سيرته الاولى . وقد تأوه من كبد مرضوضة فأرسل دموعا مفضوضة وقال لا هم [1] هب لى من لدنك رحمة وحنانا والهمني صبرا وسلوانا ثم هم قائما طلبا للانصراف فأخذت عليه موثقا أن يوافيني الليلة المقبلة ففعل وكان ابعده بعد تركي كمن كان يرجو غيثا من سحاب ممطر فقدا تقشع

وكان قد طلع نجم سهيل وعسعس الليل [2] وانفلق [3] ضوء الفجر وعطس الصبح فتصدت المنازل والديار وقد زال عن بهر الاكدار وبينما انا سائر وقد أخذت الطيور فوق الاشجار تردد سجع منطقها والديكة تذكر خالقها والحدأة والغربان تسبح بربها سمعت همس خفيف لا يكاد يصل صدأه الى طبله الاذن الا عن وكيد عنت [4] ومما اعرف مصدره ومستقره ومما امت نفسي أن تستطلع خبره وتكشف الغطاء عن أمره . ارهفت [5] اذني وجعلت نفسي كلها

---

١ اللهم ٢ أدبر أو أقبل والمراد هنا أدبر ٣ ظهر ٤ مشقة وتعب
«١» أرهف الشيء رققه

اصغاء ومشيت مشي المستكشف فكان ذلك الصوت تارة يظهر وطورا يختفي تمادى على أنه منبعث من نفس مصدور أو من عاهف السجون فازداد بي الولع وجد بي الشغف

وما زلت مستقصيا ذلك الصوت الخافت[1] حتي قادني قدماي وساقني القدر الى بيت مهجور دخلته العناكب ونسجته الاحزان وخيم به البؤس وعافه البلي ، واقفرت عرصاته[2] وأقوت جدرانه ومنه كان ينبعث الصوت فتقدمت الولوج فيه ولكن كنت يتقدم للخطو يتقدم قدما ويؤخر مثانيا فاحجمت عن الدخول . غيران حب الاستطلاع عاد بي الى موقفي الاول مروع العين مزعج الضمير فلم يكن الا لحظة الفكر حتي دفعت بقدمي وولجت وجهي شطر ذلك الصوت فاذا أنا بشبح في زاوية من زواياه يئن أنين المستضعف . ويتألم تألم المتوجع . فتبينته فاذا هو شاب قد طحنته الا راض طحن الرحى ثفالها قد اجتمع فيه النحول والذبول . بحيث كانت العين تنتظر رونق الشباب الرقراق[3] وماء الجمال الغيداق[4] ، من طرف كحيل الى

«١» الضعيف «٢» جمع عرصة وهى كل فضاء متسع من الدور اللامع «٣» المتلألئ «٤» عدق الماء كثر

حد أسيل الى ورد على الوحسين لصير وعـدب دون الشيختين عير . يجول في اهدوان (١) مير . كنت لا سصر الا بدلا صاويا وعـسا عاريا ، وحدا د و ا ، وأديا ـيا واطرب يمه ويسره على سمع بأمة من صدى طن و ومة تحن او أرى شحصا من ى حسه . ه ر لا حشرات بدب وهو اما تكرو ود ـ ، فمت في عسى أما ر هد مريص لاحدى الكبر

فسد كان تملك في م شه وقد حاك وه ليالى يحووايم لا حى ، . اب احد وه في يوم عاصف ، لا ايس و سيه ولا عان يعون الا زهره وشيمة رأيته ووقد سكن مسكه اماه لوحوس الصدرية و تنب امـ وه مسكن وره ـمة وـمته الدحي فو رحمـه يمس ـب نبيل مسكـره ودسا كره . وحيه صلام اـ لام على روح ـب ـ ر و لهد ت النبرة في وى اوحس ـ لصه . ولطير لوكـره و لا لسان لـ ره وصرق الكرى عيونها فـمت وعي لله يحرسها . الا عين سهرة وروح سـاحة في ملكوت الله و سعة رحمته مناجية فد

---

(١) زهر معروف

مسى الصر وأنت ارحم الراحمين فيود أن لو تطالع العزالة فتبدد حيوش أحزانه ولكن أبى له ذلك وقد أصبح

في ليل (١) صول ـ في العرض والطول وكأنما ليله بالليل موصول
ليل تحير ما ينحط في جهة كأنه فوق متن الارض مشكول
نجومه ركد ليست زائلة كأنما هن في الجو القناديل

هذه حاله وتلك صفاته عافه الخشراب وثاث ، بعد أن رتعت في بحر أعانه السائل ، جفته الهوام وأعرضت بعد أن شربت من دمه الفاسد كرهته الارض وماله منها ـ ، فله مستجعه ولمس عنه محيص ، فوا رحمة لك أيها الشيخ حدا السيئ حدا فما افترعت ـدا ولا أتيت أمرا إدّا ، ولكن هو الزمن ونوبه والدهر وحصنه فوا ها له ثم وا ها له لا ذنب له ولا رحمة نعلمها ، ولا الشفقة امرؤ

«١» ليل صول من يصرب به المثل للشدة الزائدة والصعق المتناهي ويرجع ذلك الى ما لاقاه جندي الذي ذهب سنة ٣٢ ه لفتح نمرمد وحمل التوفار وبوابها هي أبواب سعاب في جبال التنق التوفار ، فيها حصون من باب صول وقائل هذا الشعر هو شاعرهم حمدح بن حمدق الذي من شعراء الحماسة

فكأنه أعمى البصيرة جاهلاً ألا أيها الرمس . أحسن النزول إذا
نزلت ، والذي إذ فتاب بعد بلغت الروح التراق والتفت الساق
بالساق ، وقيل لك بعد الفراق فرق وتأتيها الليالي الحائرة
المظلمة الحالكة باسم من محا آياتك وجعل آية نهارك مبصرة .
وجعلك سكنا وجعل وقت بعثه . أقسم عليك فيما لو تعلمين
عظيم . أن تشتمي رجالك وتعوضي أركانك وتفارق مكانك وتسد
مع السيل الرئي وجوار الخرم الغضبى حنانيك الأليم ورحمة
ربك اللهم إني استصرخت استصراخ بدوي أخذته صاعقة
الموت والشاذ اختطف حمارا وحمامة في مخالب البازي والغزالة
بين براثن النمر والطير مقصوص الجناح كدكن الصيد والتائه في
الصحراء . والغريق لا يعرف السباحة . والمسجون الملقى به ظلمات
في الكهوف مظلمة . والهزء متعدا في المنزل . والشعوب
من أن تمحو ما لها من حرية أتوسل عن عبدك هذا سحائب
الرحمة وملائكة الحنان حتى يرجع في سيرته الأولى ويخرج من
هذا المكان فقد كفى ما كان

ثم فارقته بعد أن تممت محبة عمله ورشدت عنه يؤخذ في

أسباب راحته ، ووليت وجهي قبل منزلي وانا أقول حماما أشبهي
عليلا على فرش الصبي يتقلب ، وليس له أم وليس له أب

(الليلة الثانية)

ولما كانت الليلة الثانية أسرعت لموافاته وعجلت ملاقاته ، فسرت
في ضوء القمر حتى وافيت المحل المعهود وحللت بالمكان المشهود
فلم ألبث غير قليل حتى أقبل ذلك الفتى متوكأ على عصا الحياة
الأمس (١) وقد أنساه اليوم خيرا من أمس فملت الى الرجوع
فوق ما رجوه ، وأحسنت منه السمو والعلو فقلت عهدت بيت
ان أعود أو أقول ما أرجوه لانه الا داعي لرمي وجده من بعد
لدور مور أما تعلم يا صاح ان الدهر عدو الفطن ، حامل العز
حمل وهي سنة الكون لن تخدعه فكان فطنة المرء محسوبة
عليه ومنه

> فوت تعد وعلى قوت تقطع الايام في طلب
> ليت شعري وهي معجلة أي ذنب لي سوى أدبي

---

(١) الماضي وكلمة أمس قبل البحث هي الكلمة الوحيدة في اللغة
العربية متى عرفت نكرت وبالعكس

فاعترضه بقولي اذاً قد آن لك أن تجيب سؤلي وتطلع علي قطر الى الارض ما أكن بأحد في أسباب الفكر . أسه متماهلا وقال بعد أن ابس الصعداء اسمع يا أخي

أنا طروفة الزما ن وأعجوبة الايام
وأنا خول لدى أحتا ل في العرب والعجم

[illegible]

ولد [illegible] ولا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

١ [illegible] ٢ [illegible] ٣ وسط

الجديد » قال « المطور » فسألني هل حفظت « لوحك » فقلت لأمر يريده الله الجديد أم القديم يريدان؟ قالا أوحفظت جديد لوح يومك هذا؟ قلت نعم ، فوالذي رفع السماء بلا عمد ما أسمعتهما الالواح وخرجا فحدثاني ، ثم أتت على ظهر اليوم ونطاق سقف هذا المكتب ، بل كرهت المكتب وأهله كراهة التحريم فما عدت اليه بعد ، ونزل بي ما لم أرد ذكره ولما تم لي الشفاء احتال على ابوى ودها بي الى معهد يدعي مدرسة ، طفيت بها أربع سنوات مرت فيها بحمد الله ما اقصد وهنا تاقت نفسي وشخص بصري واشرأب عنقي الى مناهل العلم والازدياد من ورده فيممت وجهي قبل المعاهد العالية وقد سهل الله لي اسباب الالتحاق بها فجاوزت الفرقة الاولى الى الثانية وهنا اغرورقت عينا سعيد بالدموع وجاش صدره حتى لنسمع صربت قلبه ، ثم سكت قليلا كمن يستجمع قواه وقال « هنا وقف بي الحظ وذلت بي القدم وصدمني حجر صغير ولو ان لا يشعر بما ورثه . وما بي الزمن وعا كسني جده ، فلازمتني الاحن [1] ورافقتني المحن ، هنا يا أخي كانت

---

[1] الاحن والمحن بمعنى واحد وهي الرزايا

اضامة الكبرى والبلوة العظمى فقد لزمت هذه الفرقة ؛ سنين متتالية كانت علي حسوماً (١) لم أنل فيها مأربي وأخرج من مأزق . ورب ... من اهم والغم ما ... سوء ... احتمل الراسيات ، و ... الشامخات

رسبت لأول سنة ومن كنت المنتصر فعلت عن قبيل لدور الثاني دوره وامتد لامتحان سنة ... شيء له ... سكت وعدد ... ولم يكن حرى ... رسوب و ... الداهية الخذلان . إذ قد اجتهدت نفسي وعملت على ... حديث ... فوق . وما أ ... صعر و

على ... ان ... و ... عليه ... مقصد

وا ... ي وشكوي وهمي و ... مرب ... رسب ... فلان ... علان ومن أنت عن احوال العامة ... . فهم ... سنة ... والعصفور المعوضة ... اد ... . الثالث والعيل ... و حديثهم ... وحدة ... رفت ... احموا ... خمسة ... في ... مردا ولا يحد الوحدة لي منها سبيلا ولا عيب لوحشة

(١) سؤمة

على النفس ديلا . وأن مى الوحدة وأن لى فى كل ورقة ىدك
الايك (١) صديقا ، وكل زهرة على ذاك الميت رفيقا ، وفى
كل نحلة توسف اعور لرنحان زميلا ، بل أن مى الوحشة وما
من حدول بذاك الكان أو بركة الا طرت اصحها قصة حب
وروايه مرددة وفرسان مات على هذا الحال ردحاً من الزمن
يؤانسني أناس لا يعيبون ولا يعيبون ، يعطون ولا يعلمون
حتى إذا ما ورب افتتح عهد عدت إلى زمن لم العود احد
ولكن مضى عام كسابقه وعرفها بات وهنالك سال الدمع
المنكسر . يسئلث عن الحزن والدمع المنهمر ، يدل على الامر
ورأيت نفسي كالا على نوى . أما أوجه لا أنى حير
فعرفت على الخروج من مدرسة العلم إلى مدرسة الحياة . وما
كنت قرأت فى كتب الله تعالى اذ قوله « لا تيأسوا من روح
الله أنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » فعاد الى
شعاع الأمل وإن حدث بيننا نفسي واحد من الوسن عندئذ

---

(١) لتحجر الكثير (٢) كناية عما هو مدون فى بطون الكتب
من آراء الناس وأفكارهم (٣) قول رامقل قال اعلى « وهو كل من
مولاه .

الأحمان فكان أحب يومة لي تريها اأعارد بدات شتي
الأعام ولانوار . وتاتي احلام من كل صدحة لأصان مربد
ترى منها صدى صوت أسمعه ولا أرى ماله برد صو
حَ٠وريا (١) يكد تسمعه الماضي والدي

لا ييأس عند الموت من دوحَة (٢) بحو الكرب
فاك سره (٣) هب ... حرى سمى و سب
وسحب مكروه سد (٤) وصمحل ومسك اه
ودحب حصب حيف مه ه ق سس ه هب
ولد ب ب لأمي رعي مستسه حرب
وصر د م ب رو ع ورمل و امحب
وريح من روح لا ... ه طمع (٦) لا تحتسب

فكل رسول ميمو اوصاً سعيد فسعد لحمى وصبر
اعب أمومه (٧) ويمضحه عن بد يومة هل الكرب
وصاحبتي السعادة ورمى . التوفيق حرت رق . وصحت
الهمى . وانت مد رحر

---

(١) ساند هر (٢) رول همعل التلب (٣) رحجاره ة رمع
(٥) مقطر (٦) سى يرد (٧) عهد حماله

رهنا نطلع أبى والدى كما كنت أطلع أبها أيام كنت في
المهد صبيا . و ر ت على الالتحاق بأحد الدواوين كى أنيهما
عني مـ ه ـعاب وقد أحسب ان أنومن عدولى مس فما كدت
أنال حاسى حتى لم يبق لى و ـ را ميد أتلة . ول بي ما يس
ى على أ ماده طاعة . لا ولا من تحت لهم الطاعة حيث أرمت
المراس وعاودني الانتكاس . وصرت من الامية . كما تمر من
حالات هذه الدنيا الدنية فعاودني همومي وكرهت الحياة ومافيها
بعد أن علمت لديها كل وسيلة فلا أحد منها معينا فعمدت
الى العلوم أدرسها لذاتها . وأطالها حقيقتها . فأحدث من كل روض
زهره . ومن كل شجره ثمرة ، وصرت اسهم في كل فن ومطلب
بلغت الغاية وزيادة

ونادى منادي المدينه بأهل العلم ودويه . ويا أولى العرفان ومن
فويه غدا ستكون الرهان وتعقد الدوان ، بحضرة صاحب
التاج والصولجان وتقوم مناظرة . في مسأله وضعت لها جائزة
من كانت حجته دامغة فاز . حضرت الدار وقد كستها حلة
سحر وعلتها هيبة من الجلال والوقار . وقد غصت بالناس .
ثم جلى شعر من مداس ، مبيت نفسى باكتساب الرهان :

لاستعين به على حوادث الملوان (١) ولما كان الخميس وأربعاء د
اللواء ، قام فأنبه سائلا كل من حمله في هذا تحاسم ممعد وقال
أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء ذا له من شبيه
افتنا في قضية حاد عنها كل قاص وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الناس أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها ما تبقى بالارث دون أخيه
أشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه
فتطاحنت الآراء . وحمي وطيس الجدال . وأدلى كل بحجته . وقوي من شأن محجته . فلم يفهموا السداد ولم يرج لهم الطريق . فطاش سهمهم في كل واد فشمرت (٣) عن ساعدي وقلت لأن آن أوان افتضاف العرس وحق تمرين وحاطت سائلهم وسائلي . فلا على الخبير سقطت ومن أين لحدثها (٤) فخذ فهاك جواب ما سألت
أن ذا الميت لدى قدمه الشرع حاء عرسه عمه بنت أبيه

«١» الليل والنهار «٢» أي لم يصيبوا في أقوالهم «٣» كشف «٤» أي العارف بها

رحل روح ابنه عن رضاه ... نجاة له ولا عزو (١) فيه
ثم مات ابنه وقد علقت (٢) منه ... فجاءت بابن يسر ذويه
... ابن ابنه لغير مراء ... وأخو عرسه بلا تمويه
... الابن الصريح أدى ... الى الجد وأولى ... من أخيه
... حين مات أوجب للزو ... جة من ارثه تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأ ... صل أخوها من أمها باقيه
وخلى الاخ الشقيق من الار ... ث وما ... الكميات ان تكفيه
... في الفتيا التي يختدم ... كل ... وكل فقيه

فقام الجمع اجلالا واستوليت على المقعد . وكنت فيه كل ... وجد . وحرجت وكل يرمقني بطرفه . ويلحظني ببصره ... أكبر الناس فرحاً وأحسنهم حالا حتى وصلت الدار ... من أهلي ما يلقاه القائد المغوار . وقد عاد ظافرا منصورا حاملا لواء الظفر والفخار . فتوالت الجمع طرقي ... تهوى ... وترمي ... وتتهادى ... وتتقادمهم ... . ولم أدر أن حظي ولما ... ليلة أحد رجع القهقرى

---

(١) لا عجب (٢) حملت

فما كاد فجر ذلك اليوم ينشق وصبحه يتنفس حتى انشقت بطون الارض عن خباياها التي خبأها المقدور وحار وانها اذ اشتعلت النيران في جانب من القرية واخذ الصراخ يعلو من البيوت ولا تكاد تنهض الناس من مضاجعها واحدة تعرها استطير وانتاب ثيار حظها لمدلهم فدكان يوما عبوساً قمطريراً

وما زالت النار تعلو حتى اندلع لسانها وسرى شررها نحو دار فقيهنا تحول لزريبة وحطب قد اصاب الاسهم شبا كثة ثم ادهم الدار وقوض اخدارها وحطام انقاض من فوق انقاض فلا انسهم في ولا حديد بجا وذهب الكل ضحية النيران وجزء حظي من رواية وكأني اذ ذاك أرى من السنة نيران لوحة قد كتب عليها

ان حظي كدقيق بين شوك بعثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه
صعب الامر عليهم قال قوم اتركوه
ان من اشقاه ربي كيف انتم تسعدوه

فهل رأيت اعجب من هذا العجاب وهذا اليوم قد حدث في لاسباب أسباب الكسب لا ستعيض بعض ما ذهب وازني

قد وفقت فسأعطى عما قريب كاسا لدخل الحكماء [1] وعى العلماء ،

وكذا قد أشعيا من الليل الأوام [2] وحان حين الانصراف فودع بعضنا بعضا على ان نلتقى فى الليلة الآتية وفيما أنا سائر بحثت عن بعد شيئا ملقى على جانب الطريق مما لا اعهد لمثله وجودا في تلك السبيل فقصدته فاذا به «صرة» بيضوية الشكل تقريبا فقلت ليت شعرى ترى لمن هذه وهل هي موضوعة عن قصد او فقدها احد السابلة وأحدث ألتمس شيئا الا على أرى من ينشدها فلم ار احدا فوكزتها [3] بعصاى فاذا بالصوت قد نبعث منها ثم سكت فبهت لوقتى وتولانى الذعر وفات أكبر ظني انه عفريت كما يقولون أراد بي هزوا وسخرية فتأخرت قليلا ثم دنوت منها ثانية وأرجعت الكرة مرة أخرى فكان الامر كسابقه ، فازددت حيرة واستغرابا . ثم وطدت

«١» هذا بيانه النفس والعقل فالحكيم والعالم من أفقه خلق الله ولذا قيل

د ورب الجهال أنعمهم عيشا وجاها فيا أشقى بنى الحكماء

«٢» الاوام بالضم حر العطش «٣» دفع وضرب

العرم على أن أرفع تلك الصرة بيدى ، فما كدت أقبض عليها حتى وجدتها ثقيلة فوق ما يجب فلما بسطتها اذا هي أثواب كبيرة بعضها فوق بعض فمن أطلس الى سندس الى استبرق وتحت هذا وذاك عين ممعوس فما كدت أزيل طبقات القطن حتى ظهر لى حين حديث الولادة وبالأحرى « لقيط » قد ألقت به يد الشقاء ومطامع الفساق ودعاة الزناء الى ساحة هذه الدار وهو فيها من الزاهدين

وكان هذا الوليد على حداثته تتجلى فيه جمال الطلعة ممتلئ الجسم مفتول الساعد أقنى الأنف دوار الفم وفى الحاجبين أحور العينين فتبارك الله أحسن الخالقين

رأيت ذلك فأشفقت عليه من نسيم الصبا وهو حيث هو وفسيح الخافقين وهو مرتاحه ومداحه . فسددت عليه ستاراً وقد كان جماله فتاناً كأنه من ولدان الحور العين وقد تحت حسن وكم كانت تود امه ان يكون كاطا لاسفاح وكأنه كان ستور غل قد أفاق فرفع يده الصغيرة وأزال الغطاء شاخصاً ببصره نحو السماء كأنه يشكو حاله لربه ولسان حاله يقول « ربى أى ذنب اتيته وأى اثم جنيته حتى الست كاللقى الحجر فى الطريق ربى

أين ابي اين امي فأطعمهما كما بلعن الاناسه وأقتص منهما لمصى كما يقتص الله من الجبابرة ، أما كفاهما ان يجاوراك حوارا ، أما كفاهما أن يأتيا اتيا كبارا ، أما كفاهما أن يفعلا شرا ويأتيا امرا (١) ادّا أما كفاهما مخالفة أمرك حتى يعملا حوبا (٢) كبيرا وطغيانا كما تلقى الرواة أعاني من الآلام ماأنت به عليم ألا رمهما من العذاب صفعاً وأنزل عليهما حجارة من سجيل (٣) مسومة (٤) وغير مسمومة فتجعلهما هشيما حررا »

أنه ياابي رد علي من ولداك سماحا ودع شر الدعاء عليهما ما ستطعت الى ذلك سبيلا فهما سبب نعستك وشقاتك أيه يابي صاحب الجم وامدد يديك الصغيرتين الى وتيهما فارفعهما ولا تأخذك في دين الله شفقة ولارحمة عساك أن تحتث جذور الفساد وتستأصل شأفة الفسق ورسل الخراب

أيه يابي مسكينة والله امتك فكم من احمة وأطفال على سنا كلتك ذهبوا ضحية الفضيحة والعار فمر النسل وقل المولود

---

(١) فظيعاً ومنه قوله تعالى (سيئاً ادا) (٢) ذنبا (٣و٤) فالواهي حجارة من طين طبخت بنار جهنم وختمت بخاتم عليه علامة (٥) عرق في النفس اذا قطع مات صاحبه

وأصبحنا لا نرى سوى الآلام والحدود

أيتها الأمة المسكينة ، حنو عليك فأقولك [illegible]
وأعوروك دونك

[illegible] لهم لا أصلح الله حالهم من احط في نصريم عن حسنات
ماذا لهم لا أكثر الله منهم عشيرتهم العشية فلا يعقلون

[illegible] رحمهم السامة فلا يعمون على سوء ما يعملون فمدوا رماحهم
في صدور أمانات . وفوموا الاسنة في حسام طسات . وعقدو
النية على وأد (١) عيالات . كم يسمون في كل سنة مثات من ألوف
وكم يسقطون في كل حين ألوف بل ألوف الالوف

[illegible] هم عدا عظيم الامس (٢

[illegible] أرجع الصرف وهو كليل وسبل عينيه وهو كظيم كه
يستسلم لله رب العالمين [illegible] وأمره خفيف حسير
وأحدثه وسامته الشرطي حيث يسمه [illegible] الاحي [illegible]
وهو دايتهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

---

(١) الوأد دفن الميت حيا (٢) [illegible]

(الليلة الثالثة)

وما أقبل مساء ليلتنا الثالثة ، وحان أوان اللقاء ، حتي خرجت ووافيت المقام فلم يكن الا ارتداد البصر حتى أقبل صاحبي فتبادلنا مراسم التحية وأخذ كل مجالسه القيت عليه سؤالا طلبت منه بيان حقيقته فقال « هات فقد القيت خبيرا وجهبذا نحريرا » قلت ما رأيك في الزار ، قال خراب الديار . قلت والعرس ، قال أدعى لذهاب الفلس (١) ، قلت والمأتم ، قال للثروة والغنى مبيد وأني لأعجب من الناس كيف نامت بهم الحال حتى عشيت أبصارهم وطمست قلوبهم فجعلت عليها أكنة (٢) فلا يفقهون حتى أقدموا وافعلوا فيما عنه الشارع نهى ، فمن حفله زار تقام الى مهرجان عرس قد أعدت له المضارب والاعلام ، ومن مأتم بسطت له الطنافس والبسط اتداس بالاقدام ومايدوس الناس لا الدرهم والدينار وقد استفحل الخطب وجل المصاب فأصبح الزار من الامور التى لا يؤجل احلها ، بل صار واجب التحتم كانه من جليل الاعمال وعظيم الفعال وانتشر ذلك بين السواد

---

(١) النقود (٢) أي حاجزاً

الأعظم من الأمة حتى حرث الرجال فيه رب الحجال . وعد
كأنه امر عادى يصرف المرء لأجل حملة عليه روحته حال ما
دخل دون ان حتى من ورء ذلك الارضاء روحته و حرمها أن
يكون عدوه ولا غرو فالله يقول « أن من [illegible] كم و زواجكم
عدو لكم [illegible] الآية [illegible] (الآن) الذى [illegible] ر وما هو
رجل وما هى

أورد الله عز وجل كثيراً من آى القرآن الدالة على خلق
و [illegible] خلق مكلفون غير مكلفين المتعادية الانسية وجعلهم
[illegible] لطيفة لا يرون يتشكلون كثيراً من الاشكال
[illegible] هذه عجيب [illegible] شرع عدم [illegible] من يقتل منهم
وهم فى غيره فوجب لاعتقاد [illegible] موجودون وجود
لا ينكر وجوده

ولكن [illegible] كثيراً من القصص و حرمت
[illegible] فى صور مختلفة [illegible] فى ذهنهم شىء من [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ويشهد لم يحقق مصوره
[illegible] [illegible] [illegible] وسحريه فعقوده
لا ينكر و يستطيعه [illegible]

والذى ثبت لدى العلماء والباحثين ، ان ذلك انما لا بت في النفس تتحسس منها الاعصاب وتتشنج ، فتصبح على غير عبدها فيقال للجهل فلان به ر ر والا اذا كان ذلك من اعمال الجن فلما كان الامر اعم في المدن منه فى القرى . اليس ثم أنا ـ لا فارق بينهم ؟ فانك لو فارقت بين الخائفين لوجدت فرقا كبيرا واختلافا عظيما فبينا ترى الريفية تعده من أفصح الوصف بحيث تصبح اذا وصمت به كأنها حجر فى طريق يداس بالاقدام ، وان ذلك مصيبة اشرفها كما اذا أنت بحشمة مدنية ترى احمرارها تعده من الفخر والفخر برئ منه فعمدت الى شد صداه والاخذ بيده فبئس العمل

وللسائل ان يقول : اذا كان ذلك كذلك فماذا يرى كثيرين من هؤلاء يتكلمون بما لا عهد لهم به . فيتلون القرآن وهم اميون ويرسلون القريض وهم ... رون . ويسجعون عقدا من درر الكلام وهم ( ) اليس ذلك يثبت ان بهم مسا من الجن ؟ فنقول له مهلا وعلى رسلك ، فان ذلك لا يعد الا في نظر الذين لا يعبرون على حقائق الامور فتغرهم الظواهر وتخدعهم المظاهر فان ما فاه

(١) نسبة ل ... وهو اسم رجل له قصة مشهورة

ه هؤلاء واسمعوه عيرهم ، أن هو الا كلام مر نآدابهم وطرق
سماءبهم مرة بل مرات عديدة فعلق بذهنهم احفاه تراكم العمل
وكاثر الفكر فظل في الذاكرة حتي اذا هاجت وانقشعت عنها
سحائب العمل وعيوم الفكر ، احد في الظهور . وما السبب
ظهور ذلك في لحظة فقد الانسان فيها افكار الدنيا وشواغلها ،
ولا لوكان الامر صحيحاً لما كان على ماهو عليه ، فأننا نسمع
تصريه مسلمة مثلا رتات انجيلاً أو ابيات زبورا . أو بكلمت بلغة
حسنة . ولا مانع من ذلك اذا كان الجن هو المتكلم
واذ صرفت النظر عن العقول إلى المتون واجمعت
الآيتين الكريمتين حيث قال تعالى في حق الانسان « وخلقنا
الانسان من ماء مهين » وقال في حق الجان « وخلقنا الجان
من مارج من نار » فقال لي ربك كيف يمكن جمع بين الضدين
والتوفيق بينهما محال الا انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور
وأني سارد عليك حكايتين . سمعت باحداهما وشاهدت
الاخرى ، فأولاهما انه بروح فتي ممن تربوا تربية حقة فأزالت
عن عقله سحابة الجهل . بفتاة رشيقة القد ذات مال وعد ،

فاجأته ذات يوم عند اوبته من عمله ، بان بها زارا ، فأظهر الاهتمام بأمرها واستدرجها ابتنست من الامر ، حتى اذا علم الحقيقة استدعى (١) فتى له ابرسله الى منزل « الشيخة » ظاهرا وفي الباطن ليحضر له كمية من العصى وأخذ يلاطفها ويدعو على ذلك الجن حتى اذا حضر الفتي بعصيه . تناول بها زوجته وهو يقول اخرج ايها الجن والا اذيقتك الموت الزؤام وما زال يضربها وهى تصيح ٠ و تستعيث معاملة اياه انها سعيت وان تعود لمثلها أبدا فأين الجن واين الزار ، أهرب من العصاة وهو قادر على اعظم منها اللهم ان هذا لجبل عظيم وثانيتهما صمى تجلس فى منزل الفقير ثم تحتجب عن زوجته فاخذت تتوجع وتشكو من الجن والزار وان بها ثمانية عشر جنيا وأمس زارها جني فى زي قسيس فتوسلت اليه بالتى واللتيا ان يتركها فلم يقبل وانها تود عمل بدلة برسمه كما اسواه وقل لى بربك ماهو جسمها حتى يتحمل تسعة عشر جنيا ولما يتزاحمون عليها تزاحم الذباب على العسل ، الجماها فهم فما عاشقون وفى جسمها راعون اللهم لا فانها اقبح من قرد أداما عمي القرد

---

(٢) خادما

وما تم كلامه حتى واجهته بقولي الآن أريد منك أن أقف على ما رجع بالاسلام العبقري حتى ضعف شأنه وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر . وصار الناس عمياً عن الحق فعدلوا عنه وعدوا في هرج ومرج فكلام نثق [1] ومنق [2] فقال

أن الاسلام بني على أساس مكين يكفل للانسان راحة الدنيا وسعادة الآخرة . فوائده العدل ودعائمه المساواه فسارت الناس واياه في مبدأ الأمر سير الطفل للانسان . فلم يميلوا يمنة ولا يسرة ، ولم يحيدوا عن أوامره ونواهيه ، فملأ كفهم وقد [3] طالعهم غيرهم فكانوا المسيطرين بالحق على كثير ممن خلق

وما زالوا كذلك حتى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . أترفتهم النعم وزينتها . وغرتهم زخارف الحياة وبهجتها ، واشتغلوا بأمور دنياهم وتغافلوا فيها ونسوا الآخرة وما ادكروها . فتفرقت كلمتهم وذهبت ريحهم [4] فنبذوا بعضب من الله ورسوله . وصار كل منهم لا يعمل لسوى نفسه وذهبت عنهم الأثرة [5] وحلفها الانانية [6] وأمسوا في بحر

---

(١) مفتاط (٢) محزون فإن المنق يبرع الى الشر بغيطه و منق ضيق ذرعاً لاحتماله (٣) فاق (٤) قوتهم (٥) من الايثار (٦) حب النفس

الضلالة يسبحون ولا توقظهم ما يرون من الآيات والعبر ولا يحزنهم دفن الأتراب والأحباب، ولا يفزعون بنوازل الحدثان، ولا يستشعرون[1] لعين تدمع، وطرف ندر وتهمل ولا يلتاعون[2] لمناحة تعقد يضحكون عند الدفن، ولا يضحكهم عند الزفن[3] أعرضوا عن تديد المواعظ الى اعداد المآدب. قست قلوبهم وكان جديراً بهم ان يخشعوا لذلك ذكر الله في قوله، ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون

حينما كان الاسلام كعمود من اساس الدين من حوله ويهديهم صراطاً مستقيماً، فطال بهم الزمن فملوه ومالوا الى نفوسهم فأرضوها، فاحتجب ضوءه عنهم فأصبحوا لا يهتدون وفي بحر الظلمات يسبحون وانقطعت سلسلة الولاء في الامة بين الحاضرين والماضيين فلم تتبع الا نفس لحدها القديم، فتقوم معوجه وتسدد خطاه لتعيد أيام عزه ومجده مترسمة خطوات

---

(١) سكون (٢) الالتياع حرقة القلب من الحزن (٣) نوع من الرقص

الصالحين الاولين مع أن غيرهم من الامم إذا مات عظيم من
عظمائهم اصعدوا له التماثيل وألفوا الكتب في مراثيه وذكر
مناقبه وانشروا أخباره حتى يدرسه الناشئون في مدارسهم المدارس
وعلى الساحة الناس في المجالس حتى يسمع هؤلاء على مقولة
فقد جرأ عهد تاريخه وسعو ماضه متمكن أعمالا صحيحة وان
ذا رمز جليل لعمل وحسن خصال

أو نحن فان عند قومنا لاوربا وملوك والعلماء لا عبر
وسد الكبير منهم لا نكره وتركنا كل خير يبين عوده
حتى دامت ونسيا عهد لاصرحة لا صروا لته في الامصارة
هذه لا محمدة بالنفس ولا تبيان عن ماضي ولا تدرس
في الحاضر

وقد عرف الاخير ذلك جيد والماضي منس سععص
لخطاوا دون قسمين محوضين وحرار ذلك عون يدرسون
الماضي ويسود الحكم على ما في نظام الامة متصل بكم
كل بلاد والاحرار قوى كل حديد فيمرحون عليهم .
ويأتون كل حراك حدث منهم يمنهم ان اقطع اسمهم
عن الامم المجاورة فهم في معمورة الموا عليهم ووقفوا في

الصنائع والمعاملات وغيرها وأن كل أمة تركت مجدها القديم ولم تفخر بالجديد ولم تحافظ على خيراتها هبطت وانحطت واضمحل طالعها فهل لدينا ما يشابه ذلك أو قام علماؤنا بما يقاربه . اللهم لا ، فقد جمدوا وهم قادة الأمم على الأبحاث العقيمة القديمة ، وأسرفوا في روايات الخرافات الدينية التي دسها أحبار اليهود وأسندوها تشفياً في الدين الحنيف ، فملؤوا بها خزائنهم ثم أورثوها من بعدهم جملة المسلمين من أهل الصدر الأول وغيرهم أحدها أولئك الذين تصدوا للتفاسير القرآنية ، حتى كادت أكثرها يكذب بعضها بعضاً وكيف إذا قام قائم ينظر في كتاب الله تعالى منعوه من ذلك وألزموه باتباع ما وضعه علماء التأويل الأقدمون حتى ابتعدوا عن العقول السليمة وكتاب الله وفاتوه المسلمين فضعف فينا نور العلم وذهب لبه وبقي قشره وذهابه وضعفه فخر علمائنا وعمي أبصارنا وهي مما العظائم

على أن هناك من الأسباب ما جعلنا نمشي القهقرى بما يفيد(١) الأجسام في تزوج الرجال مثنى وثلاث ورباع بغير مراعاة ما وضعه الله في سبيل اباحة ذلك من الشروط ثم يميل بقلبه عن

---

(١) متقهقرين

إحداهن فيا بها عيطاً ويقتلها حمداً ، ويعلمها ذلك كيف تكيد له « وإن كيدهن عظيم » ، وكيف تهمه فتحوله في عسرها وفي تربية ابنه فتعديه النار الكراهية لأحديهم من أبيه فتشتعل نار الفتن ويتسع ميدان الشجار فتتلاشى الأبناء والآباء ولو أن الرجل اقتصروا على ما أباحه الله بقيوده ما نزل بهم هذا البلاء الذي شتت الجموع وقطع صلة الأرحام ولما وجد بينهم أعداء ملازمين . وخصوماً لا سبيل إلى جمعهم ولا التوفيق بينهم

وكيف لا يفسد حالهم ويرجع بهم الزمن ويهبطهم منزل أهل الشقاء . وقد أطالوا أمد نومة اللهو . ومواصلة السهو وطول الإصرار وحمل الأصار . ومعاصاة إله الأرض والسماء ، فتناهى فيهم الفسوق ومتابعة العيد الخسان . وصحر شيوخهم بعقول الماء في ساحات الميسر والقمار

بل كيف يظل الغرس يانعا مورق وقد تركه صاحبه فلم يتعهده وحماه فلم يرده . وبدده فلم يرعه ، هذا يظل على حاله كلهم لا ، ولولا مياه أسلافه وأساسه الحق لكان لهم يوم من اشر مظلم حلوا بأرض الأمم الأولى شربوا روح الشريعة فساءت

ضوتهم وحبت موطنهم واصبحوا الأعداء دينهم أعوانا عليه

وكيف أعجب يا صاح من مصير هؤلاء او استغرب ، وقد

نشأوا فى حجور غير المسلمات ثم بمعزل عن المسلمين ثم لا تكاد

تجد لأحدهم صديقا مؤمنا او صاحبا موحدا . وسب ما اليه

اذا قلت انهم من المسلمين اليوم لا يعلمون عن القرآن شيئا ولا

يعلم لنبيه وزنا ولا يؤدى زكاة او يقيم صلاة أو يذكر الله الا

فى حاجة او مرض على ان كثيرا منهم لا يستحى ان يشرب

الخمر ويسقى الخندريس (١) امام أولاده او قد يعد لأحدهم

الكأس ذهبا (٢) مارما أنه على سرها وعلى كرهها وعصابة

ووضع الطفل بين أيدى المربيات فيعدينه بالبان ممزوجا بما

فطرن عليه من الاخلاق الذميمة والصفات الشائنة والعقائد

الفاسدة فينشأ الاطفال مفطورين على ما فطرن عليه حتى اذا

ما كبروا وشبوا لم يكونوا بالمسلمين الحقيقيين . ولا بالكفار

الظاهرين غير أنهم يحسبون فى المجموعة الاسلامية وما هم فى

الحقيقة إلا أذناب من كل أمة . ووارثون فى كل دين وملة .

مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء يرجعون فاللهم فيض

---

(١) اسم للخمر (٢) مملوءة

بيك والمسامين رجالا أولى ناس شديد يتشلونهم من وهدتهم وقصورهم من ومهم وسامهم حتى يرجع اساء معيناً . ثم انصرفت بعدما ابى على أن يعود في المساء التالى

ثم دت قصداً دارى لأضوء من النوم أو امى وأستوفي من سكرى فسبقنى فيما أنا سائر في الطريق لا ألوى على شيء طرق سمعي صوت متقطع ، لا أكاد أفهم منه أى مقطع جعلت نفسى آذاناً مصغية فاذا به صوت امرأة وكان هذا شكاة في منزل ينبعث منها ضوء كأنه شعاع من أمل بائس

[illegible]

ولدت ممكس الرأس ، وأونا كأنه احشب مسندة

[illegible]

يضاء يسحب من فيام شعرها ولعيب فيه وهو وجه يسجم

[illegible]

[illegible]

لهامن ضاء الزمن عين مريضة

ومن بصر لوكان حضرة حجب

ومن يانع الاغصان قدوقامة
ومن حالك الحبر اسوداد الدوائب
وفم كالخاتم وثغر كالرحيق المختوم
أسيلة مجرى الدموع هيفاء طفلة
عروب[1] كايماض[2] الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه
زجاجة خمر طاب فيها مدامها

وحد

مهدى يسمي باسمه فيها مقبل
اذا قيل للخد الشتيم ملطم
علي أنه مغرى به العض مولع
وناس له ذنب سوى الحسن يعلم
يظل اذا أبدي لنا منه صفحة
تلذ بها أبصارنا وتنعم

«١» العروب من النساء المتحببة الى زوجها «٢» لمعان

وليـه أطراف الثنايا وانه

ايدى من الالحاظ بل حتى يوهم

وعيان كأنترق ما أنار للعاشق طريق الحب وهو مظلم

واصاء ليل الهجر وهو مبهم . وجيد كابريق اللجين وصدر

مشرق البحر باهد الثديين

به كوكبا در كأنهما

ركبان لم يدانسا من لمس مستلم

صانتهما استور من علائلها

فالماس فى الحلى والركبان فى لحوه

خاطبه بلسان قد جمع بين فصاحة المنطق وبلاغة القول

تجلى في كلامها رقة الشعور تمازجها حدة كحدة الاسد لهصور

وقد قام يناصل عن نفسه ويدافع عن ذاته

أيها الروح ألام هـذا التمادى . وحتام تعلع عن العوادى

ومتى الى رشدك تؤوب ألام هذا السير فى دجي الليل ، أما

يلحقك الوحي ، أما تطرفك الكرى . أما تفكر في عرسك

اتق الله اتق الله في روح قد أوقفت حياتها عليك وفارقت

أهلها ودونها اتقول لك ابيك أيها الروح كم تسر وتمرح ،

وحلقات من سكى وهو أترح . اتق الله فى صبية كافراخ القطا [1] لا يعرفون الصواب من الخطأ . أمالك وجدان فتحدث عليهم؟ يعقون ايبادرك ، ويقولون ليسمعوك ، واكنك عن السمع لاه . وعن أمرهم ساه ماذا حووا وماذاتهم ، أعقول وهم لما يزالوا فى المهد ؟ أحلقتهم وريد موتهم ، أأخرجتهم وترد قبرهم ؟ أدرت بدرهم وبود هلاكهم ، اللهم أن هذا السلم عظيم

به أيها الروح واها [2] لك ثم واها ؟ نهيتك فلم تنته .

وذكرتك فلم تذكر ووعظتك فلم تعطو ، تركتنى وتركت دونى كانه من سقط المتاع ، تحام على الخسيس أقم ، وعلام على العسف اصطبار

صرف الدرهم والدينار ، وسمر بين جدران الحانة وساحة القمار . ما أن طاب من عسر معشاره ليمتق على روحك وفراحه سود وجهك واقسعر . وعلتك كآبة واكفهر ، كأنه قد طاب منك لمحال أو رغب فى نفسك التى بين جنبيك اللهم لا هذا ولا ذلك و اما هو أمر سهل عليك وواجب

أجار لك الذى قد عقد قرانا أن تكمل نفسك ولا تلزمك

« ١ » طائر معروف « ٢ » سهيا

عرسك ، وردت العاس بلة فأسهره وأسهدته ينتظر قدومك
و ب ام ولو سنة وأقمات وقد طبح على تندميك الرعي أوسعته
سه رصراً وشتماً وبكماً ثم ممك بها الروح أصر الى عيالك
واحد رحالهم ام صعيرة وهو يقول . ان أين ي أي سعب [1]
ورقد كبيرة وهو يتلوى من الجوع حتى اسمع صفير الهواء
في صمه كما يصفر في الكهوف وانت بين مهوى با كل
والشرب والد واطرب . لأنت اشد قسوة من الحجارة وان من
الحجارة لما يتفجر منها الانهار ترد بن كل شيء [2] وه عودي
ي . أريد أن حول وما اله ر ي ي لا و ه وواعمت بى
لاسباب وأن مراءات هو ما يكون عي ب ه تتم عن هد
التاس والعى

تما [3] . يكم معشر الرجال كم حمى من خيل واعاب
تطلبون من المرأة أن تكون طاهرة لدى عيته وتم ام هل
الفسق والشرور تحجرون على المرأة وتصيبون عمر ، وما على
امرأة من حجر فان كيدها يفلق الحجر ، تصون ن ذلب
هو الدواء لا بال هو على القميص دا عياء وحين لا دواء أن

«١» السغب الجوع «٢» كناية عن الحنا «٣» حجر ما لكم

عَموا تعف نساؤكم » فيدتم بالحلال فما اقتنعتم ، وجنحتم الى هوي النفس وما ارعويتم ، وصبوتم لى الشهوات حتي غرقتم فيها سحتم ، فعرق معكم الويماب ، وحار مكم في الموبقات فهن وأنتم سواء فى التركيبات فان عدتم عدن ، ومني حرحتم حرحن ، ولو ععتم اعععن ، ولكن كما ترىدون ثم حانها قواها واعرورقت عيناها ، وحرى الدمع فى محراها وكأن هده اللآلىء قد أشفقن عليها فأقامت وبرلت عليها ملائكة الرحمة والجلال تحفها وتلبسها تاح الشرف وأكاليل الفخار وكانها قد شعرت بقدرها فتابسمت وابتسم لها الشرف وسجد لها الفحر فطن دلك العر الابله أن دلك من اجله . ورأى الفرصة سانحة فجثا[1] أمامها كما يجثو العبد أمام معبوده وانحدرت دموعه كما ينحدر الحجر ويتدحرج به من عل[2] وقال ، روحتي الآن حصحص[3] الحق وظهر الحي[3] من اللي[4] فأسألك بحق ما آتاك الله من فضله ، غفران دنبى والتجاوز عن ماضى سيرتى فقد تبت الى الله توبة لا معقب لها روحتي هنيها اي ، اقبلي عدرى ورقى لحالى واشفق فقدعلمت ماكنت اجهل والا فهيها لله

«١» ركع «٢» أعلى «٣» ظهر «٤» الحق «٥» الباطل

لدى اليه أصرع وله ابهال ان يغفر ما عدم من ذنبي وما تأخر فما تت هي له ثم اليوم لا تثريب (١) عليك يغفر الله لك مايشاء وهو أرحم الراحمين فكان نصحا له أبلغ من وعظ الوعاظ وابعد الغيوب من قول الحكماء وتحت من حال الاساء وارحال وانت مسرور الخاطر حامدا الله شاكراً له

(الليلة الرابعة)

ولما كانت الليلة الرابعة لاجتماعنا الساعة ، وافيت المحل . ومثت أرقب قدومه وانتظر شخوصه . حتى عيل صبري ولم يبق في قوسه منزع فهممت بمغادرة المكان واذا به قد اقبل على عجل وهو من الخوف في وجل ، فخوف الوصم خاف اللقاء وما بادلنا التحية أخذ في الاعتذار ثم قال

يا أخي الحامل ضيمي	دون أخواني وقومي
ان يكن ساءك اطئي	فقد أعتبتك قدومي
فاغفر ذلك هفوا	واطرح شكري ولومي

(١) لا لوم ولا عتاب

ثم أخذنا نتسامر ونتجاذب أطراف الحديث ، حتى امتد بنا الكلام الى ساحة العلماء والحكماء والخطباء فقلت له ، أنصف هنا الآن اتبين لى رحمك الله ثم لم يؤثر فى الناس وعظ الوعاظ ولم يقع فيهم نصح النصحاء فى هذه الايام فلم توقظ القلوب ولا قال من الخطوب وكأن كلامهم صيحة في واد أو كمن ينادى من توارى في الالحاد فقال

انما يستجاب دعاء الداعين ويقبل الله قول القائلين اذا كانوا من المتقين العاملين بقولهم . ولم يكن دعاؤهم ووعظهم الا رياء وتباهيا بالورع والاصلاح ، وحبا فى الظهور وابتغاء السمعة فلم تتعد دائرة اللسان الى دائرة الوجدان . يخطب الخطيب ويعظ الواعظ كل يوم بل كل لحظة فيعرى ويحذر وينذر ويبشر . ويقول اتقوا الله وهو عاص له لانه يقول ما لكم تباعدتم وهو ومنه حمل وصار أقدرهم على القول أعجزهم عن العمل . يعظ ذلك الخطيب محذرهم من الربا وشرب الخمر وهو منابع لهما مدمن عليها يساس فى الاوقات وتتجلى لها الفرص بحسب الهم الرزانة والرصانة وهو بائع سلعها وحامل رذائلها ينهاهم عن اللهو والسعاية وهو هماز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زنيم يحض على السعى وعمل

خير وهو مكسال مغلولة يده الى عنقه اسطانا لها في ميدان
المرور وساحة التشرد ينهى عن القسح وخس المعول وهو
عنده مايح وانه رجيح ، يرغبهم في الحج وكعتته المرأة
وفتنه الدرهم ومروته وصباه ما بين جدران الخانات والمواخير
وكأنه عمل من موقفه وثار سيرته واسى

لانه عن حاق وان مبالة   عار دايك دامعات عصم

فلو أنصف الخصماء نفسه وجاسوا صبرهم ولم يتعوا
تحت الأمرون الناس نتر واسون نفسكم الكل الكاره
على المس ما للسحر على نجح وجعلهم الناس سرح وهم
ستعصاتون سوره ومصباحا يسيرون عليه

وبعد حدثنا حف عن اسلاف أن احصيب أو نوعص
كان لا يصبر الكف عن أمر لا اذكره ونتامى منه مذرة
فيه ، فمن ذلك ما حدثنا به الراوون من أن حطيبا من خطباء
مساجد في الصدر الأول من الاسلام أتم به في صدرة جمعة
بعض الشهور والاعوام رقيق وكان ذلك خطيب لا يعف في
شيء ولو كان شيئاً في الناس وشو الكلام يامرهم لعمو عنه خطب
الناس ذلك اليوم ونهاهم عن التعالي في المهور لما فيه من مضار

وانه محلة للشرور ومعال للنسل وهو أول فناء الامـة ، وان أفابن مهرا أكبرهن بركه فتعمه رفيق سامه الخسف مولاه ورحاه ان يخطب فى الصدقة وعتق الرقبة ولما حانت الجمعة السادسة ولم يخصب ومما سئل بل خطبهم الرفق بالحيوان والسروف بالانسان أعاد عليه الطالب سائله ولم يكن هذا الامتناع أوذاك الاباء تجرا منه أو روعا ا وانما كان لحاجة فى نفس يعقوب قضاها وقد كان لا يملك أمة (١)ولا عبدا فأخذ في سر اشترى رفيق له وتم له الامر وأعتقه بعد وهو احوج الناس لثمنه وما أتت الجمعة الثالثة وخطب الناس فى الصدقة والعتق فما كاد ذلك الرقيق يبلغ دار مولاه الا والبشرى تسعى لمساه وانه صار حرا بعد ان كان رقيقا فأين مما ذلك الآن أيك ان رمته مستجده بين القبور في طي الاكفان

هكذا ياصاحبى كانت الحال اما وقد اصبح الامر على النحو الذى ذكرنا فما اقول فائدة ولا تحته اى طائلة

ثم هم قائما فتعلقت بذيله اذ لم يوف كيله وقلت له هل هل ارافقك قليلا علي ان تزيد في ثما اوتيت علما قال لك ذلك

(٢) الامة الجارية

على انك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا ، فقال ان شاء الله ستجدني صابرا ولا أعصي لك امرا
فانطلق يعدو عدو الظليم (١) وانا خلفه اخطو خطوات من
[illegible] من الظليم ، (٢) حتى [illegible] روضة من الرياض قد نامت
أزهارها ومد السكون رواقه على ارجائها فما [illegible] طيور الليلية
كالخفاش الذي يشبه في طيرانه خيوطا حريرية سوداء يتلاعب
[illegible] الهواء والبوم الذي ينشر أجنحته ويسدل من مكان الى مكان
مال على شجرة نامية ذات اغصان [illegible]
[illegible] السمر [illegible] وارده [illegible]
[illegible] سيوف [illegible]
[illegible]
له [illegible] امرا [illegible] الشجرة حتى [illegible]
[illegible]

[illegible] الأول [illegible] لن تستطيع [illegible]
[illegible] أمرا [illegible] انطلق حتى اذا [illegible]

---

(١) ذكر النعام (٢) الظليم

أصحاً وسيماً أفيحاً فيه كوخ قد نزل به وأقام ، شيخ وأهله قد ابيضت لحيته وتقوس ظهره ، انقض عليهما ولا انقضاض النسر ، وسل سيفه ولوح به فتركهما جثتين هامدتين وشبحين لا روح ، فقلت وقد استشعر بدني لقد أتيت شيئاً فريا (١) فقال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً ، فقلت إن سألتك بعد شيئاً ، فلا تصحبني يا هذا وانطلقنا حتى اذا أتينا قرية وجدنا بواصيها (١) جداراً مائلاً على وجهه فأخذ بيده عليه فأقامه حتى صار كما كان ، فلما استبدت بي الدهشة قلت له ولو شئت لاتخذت عليه أجراً فقال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا

أما الشجرة فكانت رمزاً وعلامة قد تعاقد على الحب والاخاء تحت أغصانها فتى وفتاة ليطلقا بها الحياة الدنيا ويقدما عليها سعير الآخرة فقد سمعت حديثهما وعاينت أمرهما حين زرت هذه الحديقة في الماسية الأخيرة (٣) وقد

أطاق الطير فيها سجع منطقه
ما بين مختلف منه ومتفق

---

١ عظيما ٢ نواحي المكان طرفه ٣ أي النهار

والحال اسرق ما بين الدوح (١) حصوته
وامسد ذيب غير مسترق
وقد بدا أرد ممترا مسامه
رامرحس الحصو ساحص الحدق
و ... تسحب ... سلاك مسمسة
والطير يسحج ... يه ... ت
... والشمس في هرب
ر ... ح ... (٢) ... عص ... دق
... س ... الامر فوق ... امارة
و ... متر ... يسد ... وسع الاجتمعون على صلاة وأما
السير ... عن ... وى خصوص وكميي دحيص (٤) ... اليهما
السارق ... ى ... حوضع . ... السا ... وأ ... هب
م ... طير ... (٥) ... وكثير ... حتى ... هم
... ساروو حما ... الا ... وردت حد ... شخص ماقيحر ... السارق
واحد ... العامل ... لايجد له معين فيرجع عن ... وأما الحمار

---

١ ... من أي نوع كان ٢ في جريان ٣ الاحتماء
٤ تدحيص ؛ اللص ٥ نصيب

وكان لمساكين يعملون في البحر يعيشون مما يأتي به من الأجر ، وكان وراءهم ملك يأخذ غصبا كل بهيمة لاشية (١) فيها فأردت أن أعيبه حتى لا يقطع المجرى وما أتيت شيئا نكرا ، ثم افترقنا على أن نعود في الليلة المقبلة

وبينا أنا سائر تلقاء البيت ، بهال مني الليل فمشيت على غير هدى وطرقت طريقا لم أعتد الإياب منه ، ولم أكد أفيق من ذهولي حتى وجدتني في أرض كثيرة التعاريج ودروب ضيقة مظلمة فأخذت أسير سيرا وئيدا خشية الوقوع في خطر ، وفيما أنا كذلك إذ لمحت بين بعض شبحا كأنه ابنة الحائط ، فأرسلت حديد بصري وأرهفت أذني فإذا الاثنة نفر مسترسلين في الحديث وكان يدور حديثهم هذا على اتفاقهم على سرقة منزل أعمى قد غاب بهذه الليلة فاجتمعوا على سلبه ونهبه وكان أحدهم خبير المحلة والآخران لصين ، فأجمعوا فيما بينهم على أن يقتسموا ما يصلون بيديهم مما (٢) أخذ على ألا يخونوا ، ثم ذهب إلى حيث الطرق حتى إذا أحس شطط يداه رفيقيه أعطى من الزمور ما يفهموا

١ لا علامة ٢ أقسم لهما

عليه ، وذهب الاثنان فتسلقا الجدار وعلقا بساعدة وقد عالجا
مصراعيها وكانت خالية من المصنوعات الحديدية ، ودخلا منها
وكنت على ثقة من أن لا أحد هناك سوى الخمر الذي ذهب
فاسرعت كحية (١) الماء حتى أتيت المائدة ودخلت منها وتبعتهما
كحية تسعى لا يسمع لها دبيب ، حتى اذا أتيا باب حجرة نوم الدار
وعرفة مفتاحها ، عالجاه حتى انفتح ، فاذا بـ ا نائمة على سريرها هادئة
مطمئنة ، فتركاها وجعلا يجسان و يفتشان الحجرة عابثين يعثرون
على ما تقر به العيون من مال أو حلي ، فلم يجدا سوى ركامات
الثياب ومطرزات اللباس ، فعادا يقصانها حنقاً بدل على ماهما ت
من عاطلة الكنود وقساوة الافئدة ، فانتبهت وحدقة لا تبدي
كلاماً و ولاها الذعر ، وإذ ذاك اشهر أحدهما في يده سكيناً
مهددا اياها أن حياتها في جمود السكون ، فرهبت رهبة بموت
في صياحها وأنينها وكأني بها قد علمت حرج موقفها وخطورة
أمرها وشعرت بي فعلمت بي أحيتني ... ت في وعي

---

١ حية الماء دفعه فان العرب تشبه الماء بالحيات لسرعة ... ه
والدليل على ذلك ما قاله ابن المعتز يصف عاملا في روضة
مر بالمساحي في حدودها حتى يدل عليه حية ماء

هذا يعطاني ، ليتكما عهلتما على ّ ايلاحتى أم رؤياي ، فقال أحدهما وما رؤياك ياقاحرة ، قالت انى رأيت نفسى قد دخلت حديقة غناء واسعة الارجاء زكية التربة طيبة الهواء ، حوت من الزهر أحسنه ، ومن الماء أعذبه ، ومن الطير أجمله ، ومن الشجر أينعه فيها عيون جارية مياهها دائمة ، طيورها غاردة ، أشجارها يانعة أزهارها زاهية زاهرة

فياحسنها من رياض غدا ـ ـ روى نفوسا ناولها

مشى الماء فيها على رأسه لتقبل أقدام اغصانها

طاب ثمرها وآتت أكلها ، فيها الروح (١) والريحان ، والحب ذو العصف والنخل ذات الأكمام فيها من كل فاكهة زوجان صنوان (٢) وغير صنوان ، من زيتون ورمان ، وأعناب ذات أفنان سدرها (٣) مخضود (٤) وطلحها منضود (٥)

«١» الروح والريحان صنفان من النبات ذى الرائحة الزكية

«٢» دخرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن « صنو » والاثنان « صنوان » والجمع « صنوان »

«٣» شجر النبق «٤» حصد الشجر قطع شوكه «٥» متراصفاً

وطلها ممدود، وماؤها مسكوب ، فيها القمارى (١) تغرد والطواوس تزهو وتلعب فيها وفيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجعلت احوس خلالها قاطفة طرفها وقنوانها، آكلة ثمرها قاطفة زهراتها، حتي اتيت الى غدير طيبت ماءه اسحار الورد والياسمين فاغترفت منه غرفة كانها الماء السلسبيل (٢) ، وبحذائه شجرة يانعة مثمرة دانية قطوفها يانعة فتاقت نفسي ان تذكل من اثمارها الصحيحة فتسلقتها وبينما أنا أجني الثمر وقعت عيناي على ثمرة حسبتها أشهى الثمار وأحلاها فمددت لها يدي فخانني توازني وزلت بي القدم . وهويت الى أسفل فامسكت بغصن من أغصانها وتعلقت ، وجعلت أصيح « اسعفوني ادركوني » بملء فمي وحسبت في الموت ... كانت يداي تنزلقان ... فهببت من النوم فاتكى عينيه ولا تحس اوساً فقد استقيت ... ودهاني فاذهبتهما وخلت عماها فلم تمهلني ... الصباح . ... وقد أخذت ... ...الحمرة ... شهر ... في ... ... إياهما كما عهدتهما ... ولم ... ... الاستسلام

«١» من الطيور حسنة الصوت «٢» اسم عين في الجنة

فأوثقتهما كتافاً ثم دهبت مسرعاً إلى النافذة حيث وجدت الخفير الذى اقترب منها ليري ما هنالك ، فناولته نعصاً من متاع البيت وهو لا نظن الا أنى أحد رفيقيه وفى تلك اللحظة أقبل الجيران يتساءلون ، فخشيت فرار الخفير بما معه فلا تقع عليه أية شبهة أو ادانة مع انه رأس البلية ومنبع الخيانة فأمسكت بخناقه وسقته حيث وجد رفيقاه ثم حضر رجال الامن فساقوا المجرمين الى السجن مكبلين فى الاصفاد وقائلهم يقول « هذا جزاء من يضع نفسه معبرا لتفسير أحلام النساء » فيالناس من ذلك ويالالامن من حفظته ! أبعد هذا اختلال وغير ذلك اغلال وكيف بامن من الحارس الذى أمنته الامة على أرواحها وأموالها حب الخيانة فلا يرعي قوانين البلاد أو يراعي الله ويحفظ حق العباد . ثم دهبت الى مسكنى وقد تحقق لدى كثير من الروايات والاقاصيص التى كنت أسمعها ولا أصدقها ، وكيف أن الحراس لهم دخل كبير في كثير من السرقات ، وأنا أردد المثل العامي » ان سلم المارس من الحارس جاءته بركة ربكة ،

الليلة الخامسة

فلما كانت الليلة الخامسة تقابلنا وجلسنا بعد المصافحة نتهادى أطراف الكلام ونعبر من نهر الى نهر ومن بحيرة الى بحر حتى طرقنا باب الزواج ، فقلت له لعل هذه المسألة من أمهات المسائل الاجتماعية الهامة فهل يتفضل سيدى ببحث شاف وبيان واف عما يقوله كثير من الناس « أن الزواج من الاجنبيات مفسدة للجنسية مضيعة للقومية وكيف ذلك »

فقال الزواج من الاجنبيات أمر مدحه قوم واتخذته وصيلة وذمه آخرون واتخذته رذيلة . وهو عند بعضهم هناء وعند الآخرين شقاء ولدى قوم حياة ولدى غيرهم فناء ولنفهم الآن ما هو الزواج ثم ما هى المرأة ثم ما هي الجنسية والقومية

الزواج يا صاح حايل الخطر عظيمه فى نظر أولى العلوم البشرية المتمدنة ، لذا احتلت فيه آراؤهم وتسعت فيه طرقهم وتعددت فيه مذاهبهم ، فعرفه الفلاسفة الاخلاقيون انه أمر غريزي من شأنه اقتران النوعين الخاص الى النوع اللطيف

وعرفه المتشرعون بأنه عقد مدنى بين اثنين ، ونعته أهل الاديان بأنه سنة وعمل مقدس ودعاه الاجتماعيون والاقتصاديون بأنه شأن انسانى كريم وحادث اجتماعى عظيم من شأنه ازدياد النسل وصيانة النوع وتوفير أسباب الراحة فى الاسر بتنظيم الامور وتدبير الدور

من هذه التعاريف وتلك النعوت نرى أن الزواج ميثاق اشتراك وألّ (١) اتفاق مبرم بين الجنسين الذكر والانثى ومنه تكونت الاسرة ومن هذه تكونت المجموعة ثم الوطن ثم القومية ، وأس ذلك كله هي المرأة التى هي الاساس في حفظ النوع بل هي فى العالم بمنزلة الرأس من البدن ومركز نور ينبعث منه أشعة الحياة فتغمر القلوب، وترشد الانسان الى المقام الاسمى وهى منبع الفضائل أذلا يكاد المرء يلمس من اطوار الارض وكنوزها ما يفصل عن حاجته الا ان يكون ذو أسر وأطفال من بنين وبنات والمرأة هي الماعون

وقد أباح الله بروح المسدس الكتابيات ونكاح الاجنبيات لاجل التآلف والتصاهر ، ولكن للاسلام قواعد وأصول يجب

« ١ » عهد وميثاق

مراعاتها، ومن المقرر أن من أصول الشريعة الغراء أن الوسائل تعطي احكام غاياتها فاذا كان الاكل مثلا يفضي الى الموت حرم واذا غيب الناس العقل منع . فاذا كان الزوج من هؤلاء يفضي الى مفسدة في الجماعة أو انحلال في الرابطة القومية . أو احلال بأحكام الدين وشعائره ، دخل في حكم المحظورات . فلنظر الآن في حقيقة ذلك ومعرفة امره [illegible] تكون الزوجة يهودية او مسيحية[1] فهل ترضى لولدها الاسلام الذى هو دين أبيه وهو الذى يحتمه عليه الاسلام [illegible] الاستاذ لا أن يولد من الام وهي تصفح فيه من روحها وتلمسه ما ترى فيه [illegible] دينها — وما هي ملومة فى ذلك — [illegible] اليهودية أو المسيحيه مطبوعا على [illegible] رسومها [illegible] كيف لأ [illegible] بعد ذلك أن يصرفه عما نشأ عليه و[illegible] ومادته وهل يستطيع أن [illegible] تهذيب [illegible]

«١» ما يسرى على المسلم يسرى على مسيحي كاثوليكي [illegible] لروحها فى المذهب تتكون بروتستنتيه مثلا وهو مذهب [illegible] أنماط مصرفيهم من دينا ولا تحاجا [illegible] الأخ [illegible] دينا والاستقلال حيتما

لصحيح الآداب وهو لا يكاد يجتمع به الا بعض سويعات معدودات من كل يوم ؟ وهل يرجى من مثل هؤلاء النسوة أن ينشئن أولادهن من أزواجهن المصريين على المبادىء الوطنية الصحيحة وأن يحببن اليهم مصر وتربها والتفاني في الدفاع عن نصبها والبلاء الحسن في أعلاء كلمتها ؟ أني يا صاح لا أراني في حاجة الى الاستدلال على أنه لا يكون شيء من ذلك في منزل ربته أجنبية تحتقر البلاد وأهلها ولو كان منها بعلها وإني لا أعجب عجب الذي رها على [illegible] وهو يحاوره يولد به وجنانه فأباها أمر ربه فأصبحت هشيم حرز [illegible] كيف يتطلع الانسان الى الغريب البعيد ويترك المعروف القريب

فقلت له لا تعجب رعاك الله ، ولو علمت ما نعانيه من المساوئ عند زواجنا المدرتنا لم لحدب وكريما فأني لو ملكت من الوقت زمامه فاصرفت ما أشا في اسقاط الكمايات ووضع الاسما لغرت الم[illegible] . لما رضيت للزواج في مصرنا الآن بهذا الاسم الذي لا ينطبق على حقيقة مسماه . وذلك النعت الذي لا يدل على معناه ادهب أيت محظوتي اركع لوالدها وارفع الأكف لولي امرها راجيا منه ان ارى من ستشاركني في حياتي وترى

ى وترعي اولادي ، فيأبى على كل الاباء ويعد الطلب شيئاً نكرا
وأ را أداً اليس ذلك أعجب من عجبك ، او لم يعلم ان هذا
أمر تترعي لا حاجب [1] فيه ، بكم التاجر في حانوته والسائق في
مركبته بكل حرية وبلا مراقبة ، فأذا هممت لأراها وأ حري [2]
تراها . و صدوا في وجهي الأبواب وبددوا الاوناد وهل من
ـ ـب في مسح ذوق ومسمعي ؟ فاذا ارسلت لها من وعد بروق
في عينيها ما تيه بات المحجوبة معها من حسن المقابلة وطيب
ـ ـه . حتي اذا تم عقد القران حرمتها النصر اولا ودمت ا
العذاب ثانيا . فقد لا تروق في عيني أن الطلاق تحتاف و الاسرحة
تتمر صم هذا العذاب وأ مي الاجنبيات كثيرة ا روو
د تزاور حادثا . والطف اولادا مي حتى لا معرفة لها بأوبين
سابل عن ـ تحرك يدي

فسل ما ا يصاح وبي رسالة لا لعب ديد مر ر بسعه
أحلامنا [1] احد ا عيبنا امته عنا من رؤيتك محجوبة
وما نحن ملومون في ذاك نعم وان كان لدى حسيف فما نح
لك ما ورد ، الا ان ذلك مضى اوانه ولم يبق منه الا ا سين . حار

---

(١) لا حجب (٢) أحق وأولى (٣) عقوبة (٤) تعيب

ذلك الشارع ايام ان كانت الناس ممتلئة قلوبهم بالفضائل ونفوسهم طاهرة نقية ، ايام ان كان الخاطب لا يذهب لمخطوبته الا وهو راغب فيها حقا اما الآن وقد تغير الناس فتغير الحال فمن أولى الامور وأوجبها ، صيانة البنت ومنعها عن مخالطة الناس ، والا لو سمح بذلك لاصبحن كالسلع المعروضة للبيع هدفا للموضع الشارد والوارد ، فيفسد الحال ويتسع الخرق ويكثر الشرور وانا والله ممن يرى احتجابهن أمراً حسنا فأنهن اذا كن لا يخرجن فمن غير لا شك أن تقل رغبة فيهن ويزداد رغبة عنهن ، فيقل النسل ويكثر العُنّس[1] ودنيا[2] ما كانت الألفة تذهب البهجة والملاينة تحدث الألم وتورث الوهن ، والشيء يواظب به المرء فاذا منه فنع وعنه استغنى وكل محجوبة نفيس وكل معروضة مهان فمن من هذه الوجهة -لي حق رأس ثم[3] من عيب لأن تظهر الفتاة علي أحسن ظهورا لا يخل أدبها أو يدنس شرفها فتكلمه .

«١» جمع عانس وهي الجارية التي طال مكثها في منزل والدها بعد ادراكها حتي خرجت من عداد الابكار «٢» قديماً «٣» بفتح الثاء بمعنى هناك واصلها تكون حرف عطف وقد تلحق بها الثاء مثل

ولقد أمر على اللئيم يسبني ‏ ‏ فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

فأن الناس لا غنى لبعضهم عن بعض ، ولأنه لا يعرفها بل هي كلورة قطن في كيس لا يعرف من أى شجرة هي ، فلا يصف حسنها أو قبحها بيدا أنك يا صاح ما أتيت الا وأنت عالم بها وهي عارفة بك وقد لا تنكحها وقد تمت عما بها وهذا مشاهد محسوس

وانى أسلم بانى اذا سمعت رأيت في امتلاك عروسك الاختلاط الذي يرغب أنه خير وسيلة لسعادتك وترغب في الاختيارات من أجله اذا أن ذلك لا يأتى [illegible] المطلوب بل هو ضياع لذاتك و[illegible] شمالك [illegible] الاختيار[illegible] رواية لسوء [illegible] املاك [illegible] حيث قمت [illegible]

[illegible] ترتيب تربية عالية فسعي وراء انتخاب فتاة تليق به حتى استدل [illegible] فتاة ذات حسن ومال وادب وكمل [illegible] الحالمة [illegible] في أمثال يظهر لها وصولا لغرضها كى يستطلع [illegible] فيه من التربية والاخلاق ، ولكنها عند كل وصال كانت تقوم مسرعة وتدخل حجرة سريرها وتعود ثانية زائدة ، فاشتغل باله خصوصاً انه لم يلاحظ عليها ذلك الا بعد

«١» عرب وعرب بمعنى عاب

احتيارة لها ، غير ان ذلك لا يلبث أن يزول عند ما يراها عائدة اليه باسمة الثغر طلقة الوجه وقد ستمر على ذلك مدة لم ير عليها غير ذلك خصها بنفسه وبي [1] بها » ولما كان دوام الحال من المحال [2] وصفاء الايام محال [3] حصل بينهما نفور طرب له فيه تغير معاير لما الفه منها فاستغرب ذلك كثيرا ، الا انه لسلامة نيته وحسن طويته حويها ، غض طرفه وكف عينه ، ولكن لما تكررت منه هذه الحالة انها في بعض الايام وقال لها مالي اراك قد تغيرت الآن وسلكت عكس ما كنت عليه اياه الاحتيار »؟ فقالت له عزيزي الزوج ان التي امامك الان هي بنفسها وحسه التي كانت معك في تلك الايام ، وقال لها « ان التي كنت امس كانت تحمل مني اساءتي دون ان اري عليها ما ردعت لان ... تبسمت قليلا وهزت رأسها هزة تعجب وقالت ... غيرك لأنك حكمت علي بالظاهر ، أما تعلم

---

(١) ... مستحيل (٣) من ... والعذر قال عبد المطلب ... بعد ما ... في الكعبة

ألا ... ان العبد يمنع رحله ... فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... أبدا محالك

يعرىوى انك سعيت اد داك لمعاشرك كى تقف على حسناتي وسيئاتى . وعاب عنك أن كل فتاة ترى فتى يسعي لاحلها فهما آتاه أيام الاختبار لا تظهر له شيئاً من عيوبها بل تخفيها بالحجب والاستار خيفة أن يرى عليها شيئاً فيتركها ويصرف اميرها وقد يرك لها أثرا سيئاً ، لان عدم اقترانه بها لابد (١) ان يكون عيب فيها والعيب فى المرأة أمر عظيم فلت لك ذلك حكمت على الظاهر وما علمت الباطن ، فناطى نحرك عنه هذا الكرسى الذى هو الآن بحوار سريري تجاهك ، وكان أولا بحوره فى منزل أبي فقم لآن واسأله عن أمرى يشرح لك ما قساه مني اذ ما من مرة كنت اغيظني فيها إلا وبادر بمعرفتك ودخل غرفة السرير فأ قص على هذا الكرسى أسنانى فأقرع فيه دائم عصاى حتى أشفى غليلي ثم أعود طلقة الوجه هاشة باشة حتى لا يداخلك شك مني فيضيع مستقبل شبابى أما وقد صرت زوجتك ولا مناص لك من مفارقتى . فها أنا قد قصصت عليك القصة فهما فى صدرك واحفظنى بامورك (٢) وإن شئت فلعبا لأمثالك حتى لا يكونوا جميعاً فى غفلة من

---

(١) لا تقل لا بد وان والاصح حذف الواو (٢) فلملك

أمر المحافظة الذي تتوهمون أنه طريق مستقيم موصل لكشف ما انطوت عليه الفتاة من الآداب والاخلاق »

وبي لاعجب منك ومن عوارفك التي تريد أن تخص الاجنبية بها ، فهلا تروحت بوطنية بير عملها وتحسن لوطنك بتوحيد الكلمة فان من لوازم وحدة الامة وحدة أمهات أبنائها وهلا دريت أن زواجك من الاجنبية مضيعة للعتك واضياعها يضيع وطنك ؟

فقلت له مالي وهذا — ليس المراد من وحدة الامة ماذهبت اليه ، وانما المراد من وحدتها هو اتفاق الجماعة على الاعتزاز الى جنس واحد ينتمون فيه ويتسمون به ، كالجنس الامريكي سكان أمريكا سواء أكان انكليزاً أو فرنسيين أو الماليين أمريكيين أصلا ، وكالجنس العثماني سواء أكان عربا أو تركا أم ترا أصلا ولا خلاف في أنه قد يولد المرء عربيا من أبوين عربيين وقد استوطنا بلادا أجنبية فلا يألو جهدا في بذل النفيس فداء عن منفعة تلك البلاد ، وما أمر وشنجطون [1] عنك ببعيد

«١» اسم لرجل عظيم هو محرر الولايات المتحدة بأمركا الشمالية من الحكم البريطاني

ولو تبصرت رعاك الله وتصفحت السير التاريخية ، لما عثت على
رأيي فان الاسكندر الاكبر لما فتح بلاد الفرس والهند
وكثيرا من البلاد . زوج الامراء من جيشه بالاميرات من بنات
الاعداء وكذا جنده ومن قبلهم فعل ولو كان الزواج من
الاجنبيات بحيث تضيع معه القومية ويذهب بوحدة الامة
ويحط من شرفها ، لما فعل به الاسكندر وهو يومئذ أعقل الناس
وأسوسهم . وكيف يكون أكبر الملابسة به فعلها . وذلك ما
هو أقرب من هذا . نابليون الاكبر وسيرته مشهورة

ولا ادرى ما البعة وما تأثيرها في الامة فان كنت تريد
ذلك ان تستدل برأي الخسية فهو فاسد فقد ولد امرء من
قوم ريشب عيشتكم لعيشهم وهو بعيد عنهم حسبا ونسبا كما يولد
الاعرابى فى مصر وبلاد السويسرة أكبر شاهد على ما نقول
فشمالها يتكلم اللغة الجرمانية وشرقها النمسية وجنوبها الايطالية
وغربها الفرنسوية وهي دولة عظيمة الشأن عزيزة الركن :
حافظت على استقلالها حتى ضرب بأبنائها المثل فى الدفاع عن
الوطن فلم تذهب قوميتهم وتفانيهم فى حب بلادهم ، تعداد
الاجناس واختلاف اللغات فانتهت الى ذلك أحالك أيها الاخ

متحد ملا ـى قومك أو حامـيا (١) عليهم فسلك الطريق وبهرج
ت "ـسـ يال

ـسـتشهر اترح و اسويسرة وعمت مما هما الات من
الاعتـ ر ـ من الامة السواسرة لاسس عيرها من الامم
ويس وحودها ـ ـ علي وساد ما امه الحس والعلة تتقدم على
معوليا ـ و رعت الدول في محوها محها من الوجود فالصم
شمالها عارره وهكذا كانت الدولة الواحدة ممد أمدء واتاعلة
وحودها هو تسا عد الدول جميعا على حمايتها وعدم الاعتداء عليها
فصلا عن ثروة البلد ومدخوله أكثر الامر في أخلاق الامم
وعاداتهم فسكن الجبال أسما أما وأبى جانبا وأحفظ لعاداتهم
ولغـ ـ وبـ اشارة واحدة الى الالمانيين مثلا بـ ـ ذلك العرق
بينهم وبين عرة من الامم الى لاجبال ولا وهاد عندهم
كالفرنسيين مـ ـ ومالك بمسـ ـ لا فرق أول مايصنعه المحتلون
والمستعمرون في مبادئ حضارتهم و أول حجر يضعونه في سلم
ازدهارهم سيطرة على لغة فيفتحون المعاهد للاحر ويبشرون
بينهم من أهل البلاد حتى اذا تم لهم ما أرادوا ادرجوا السلم فعملوا

---

(١) حافياً

ماشاءوا ولم [illegible] قوم [illegible] أسماءهم ووطنهم وحاولوا
قوميتهم

دخل الفرنسيون الجزائر والناس عرب لا يزيدون عن [illegible]
وذلك بدليل كثرة أنهم عرب ومن بني شعب [illegible] مكان
وكان [illegible]

[illegible]

كانوا يلقنون الأحداث منهم «أن اللغة التركية لغة الله تعالى»
فيشب الطفل على هذه العقيدة حتى إذا أجاد اللغة ووعى وحفظ
ووعى، أدرك أن ما سمعه في طفولته موضوع لأغراضه وتخصيصه
على حفظ لغة أمته ليحفظ لها قوميتها. وقد غم حقيقة ذلك
العرب. تلك الأمة التي كانت أمنع الزواج من الأجناس بحيث
لا أحد في القواميس والمعاجم كلمة [illegible] مما كان يجول في نفوسهم
من قبح ذلك وما أمر إلى والملك الفارسي يعرف على أحد
قتلته. وهل عرف عنك أيضاً التاريخ عن أن اليونان الأول
كانت أمة متساوية وولى في حين متساوي وابنا في بلاط
متسوي وتعدى ... ومع ذلك كان أكبر حرباً إلى
الاد حكمها أبوه ولو كان له أجنحة لطار وكهم ورصوها،
ويحاول الفرار فيهم ووقف فسال

تستدل بالتاريخ وتستمد عليه. وهنا يرد عليك ما رواه مما
هو أهم من ذلك وأعظم. قال السلطان سليمان القانوني الذي بلغت
الدولة العلية في أيامه درجة الكمال والذي قال عنه المؤرخون
ووصفه يوصفون أنه العدل مجسماً أي أمر المجد الراوون به
فملأ ما استطاعوا كتابه، وكان ذلك هو النقطة السوداء في

نياص صحائفه فقد تزوج بأجنبية من الروس أو البنادقة حسب
اختلاف الرواة وكلتا الامتين من أعداء الترك ، فأحدثت هذه
الاجنبية بلعب الادوار وتعصبه في ولده اميرها وتشيعت لامتها
وعاودها طبعها فدب في عروقها الدم الاجنبي وسرى في شرايينها
حب بلادها وتغلب عليها ميلها الغريزي لمسقط رأسها فحنت اليه
كما تحن الناقة لفصيلها ، ثم زالت به حتى قتل ولده محمدا الذي لم
يرو التاريخ مثل نبله من بين أولاد الملوك والامراء فتحرم الدولة
منه واتخذ محله ولدها الذي ربته تربية كلها كراهية في ثوب
صداقة ، وبثت فيه من الاهواء والاخلاق الفاسدة ما شاءت
وكان من أمره أن ضعفت الدولة في ايامه وزحفت القهقرى بل
وهزمت فعلا في موقعة ليبانتو سنة ١٥٧١

ولا أخالني بعد نفسي ، بعد كل هذا ، اذا قلت انك لا ترغب
فيها سوى حبها الخلاب ، فتضحي في سبيله كل شيء الا أن
تصبر الى حين تتجلي عنها أستارها الذين تستحسنهم الشهوات
وتملك لبوبهم النظرات ، تلك النظرات الخلابة التي لو رفع الستار
عنها لتجلت كأنها عجوز شمطاء

فقلت له مهلا سيدي أني أرى كما يرى غيري أن لا عيب

في الجمال ، وأي امرىء يكرهه ، وقد قال تعالى في حديث قدسي
(ان الله جميل يحب جميل الجمال) و[illegible] سامت لك جدلا بذلك ؛
فأني اعلم ان تلك البهجة الوقتية التي أهدتها الطبيعة لتلك الفتاة
فمنحتها [illegible] في الشكل وتناسباً في الاعضاء ، لتتمكن في سني
نضرتها المليلة من عدد فات مثل داني ، ستذهب بعد [illegible]
محدود فلا تحاي أحبها حالها ودلالها الى [illegible] وكمال أد[illegible]
وربما يعترض معترض بقوله : ان الأجنبية لا تكاد تتفاهم مع
[illegible] من [illegible] الانسانية [illegible]
وتكون [illegible] من [illegible]
هذه [illegible] الى [illegible] من [illegible]
[illegible] من صحة [illegible]
[illegible] حتى ان [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى
[illegible]
[illegible] الى [illegible]

[illegible]

والمراضع . فينبت وأخلاقه كأخلاقهم سواسية (١) ولا عجب في
استقامة الظل والعود أعوج . وبعد رضاع ولدها عيناً لا يعتريه
ادعاء الغي [illegible] الغي بنفسه فقال ، ذهبت يا صاحبي إلى ما لم يذهب
إليه كل ذي فكر وتبصرة ، ذهبت إلى الخيال وما أنكر عليك
ذلك غير أن الخيال العربي ينكر دعواك ويدحض (٢) حجتك (٣)
ولو سمعت من سلك وأسمعت طيرك لي العلم والأدب [illegible]
من بين [illegible] فتيات الآن من هن على درجة منه تفوق [illegible]
الأخريات [illegible] وهل [illegible] أهل الأدب [illegible]
[illegible] فأمعن [illegible]
[illegible] التربيص [illegible]
[illegible] في كل [illegible]
[illegible] صار [illegible]
قولك [illegible]
[illegible] لروح [illegible] روح [illegible]
[illegible] وبت في [illegible]
[illegible] أحدث على [illegible]

---

(١) أي سواء وهي [illegible]

تكون تلك الزوجة تكره اللسان العربى ، واذا فرض وتعلمته فهل يكون ذلك كمن هو مفطور عليه وهل العربى كالمستغرب فيعيش سوك وأمهم يتماحمون بأنماط مريحة فلا أرضاً قطعت ولا ظهرا أبقيت ورممت أن الوطنية تلقي بأولادها بين يدى الخدم والمراضع . ونسيت أن أمر المربيات من العادات التى سرت الى بلادنا ساقها الينا الأجانب حديثاً فنحن ليس عندنا فأن التي بعض الوطنيات بعرامن ابنائهن الى الخدم والمربيات ، رأيت "المشرا ب لل المئات من أحداث الأجانب بين يدي الخدم والمراضع . وهذا مشاهد محسوس ، ولا أرى من وجهة أخرى أثر لتات الفروق التي عددتها وأكثرت من ايرادها ، فان أطفالنا يفوق أطفالهم فى القوة . وذكاء المصرى وفطنته معروفان عنه من قديم الزمن . كما وانه نشيط قوى يعمل الليل والنهار ، لا يلحقه الملل ذو صبر على المتاعب يكاد يكون معدوما فى غيره من الامم . ولولا ما قيده بة الزمن وأحاط به من السلاسل والأغلال قيود الاستعمار وسلاسل الفتح ، لرأيت منه ما منه يطير فؤادك فرحا

وكانى أطلت لك الحديث واحاله كافياً لنصحك وهدايتك

هقتسماً عما ولته وتأحدمن بي حاسك من الفتيات اللائى هن أحق
بك وأنت أحق بهن ، والاقربون أولى بالمعروف . لأنك أن
تركتهن كثر فيهن العانسات وصرن عبأ ثقيلا على آبائهن فيملن
الى التكسب على اي وجه كان ، فيعم الفساد ويسوء الحال
فتكون حمايتك على الانسانية والشرف أكثر من حمايتك
على وطنك وقومك فتدبر ذلك وتعقله وأن أحسنت فدعه من
أمتك حتي لا تكونوا جميعاً جهلاء فعسى الله أن يرشدكم ويهديكم
صراطاً مستقيما

ثم افترقنا علي أن نعود الليلة المقبلة . وولى كل وجهه حيث
أراد فيممت وجهي شطر الخلاء والفيفاء حيث الهواء عليل والنسيم
بليل فاذا انا بشبح ملقى على الارض كأنه من المنايا يئن ويتوجع
وكأنه قد نصر بي وقد وقفت ووقفة ثم ... مبدء قد التبس
عليه الامر وأخذ يكمد نفسه ويحبس توجعه كأنه بين أعدائه
وخصومه فظننته من أراذل الخلق أو روح مقتول كما يقولون
أراد بي هزواً وسخرية فأخرجت عند ذلك وسددتها نحوه
وقصدته فتبينته . فاذا به انسان يحتضر وبالاحرى إنه في
سياق الموت)

وكان ذلك الرجل ربع القوام كث اللحية ، قد نيف على الخمسين
من [illegible] جبة صوفية سوداء من تحتها « قفطان » حريري وعلى
رأسه [illegible] صبغها المغربي ، شحوي اللون تدل هيئته
على أنه من ذوي اليسار [illegible] عمق الله عليهم فضله وأسبغ عليهم
نعمه [illegible] السوق فسكت [illegible] القول من الرجل وما
[illegible] كلمه [illegible]
[illegible] وكن صوته
[illegible]
[illegible] التي [illegible] إلى
[illegible]
[illegible] وحيوس [illegible]
[illegible] فدرك [illegible]
[illegible] أمرك شيئا ولا [illegible]
[illegible] فقال [illegible]
[illegible] خدود وأهلي هناك من [illegible]
[illegible] سلطان وشدة [illegible]

شوكتهم ، لا ينال منهم الزاعون منال ولا يلحقهم اذا طاروا ملال
سطا امض الاشياء علي دار وحن غائمون في وليمة عرس
لأحد مجاوريه الافرس فأخذوا منشءوا وسلبوا ما أرادوا
وكانت الشبهة تقع على رجل متبر احدث سيء الافعال ونكن
حرامي لا [illegible] سلطان ، فاستفوضنا لله في ما [illegible] وما زال الليل
يكر ويمر واليوم يجيء ويذر حتى ضرب ذلك الشقي شخصا
آخر لنزاع قام بينهما على مستقى من الماء فأحدث به ضررا ، وكانت
مارا لطريق شجارهما ومعي نفر فشهدنا وقعة الحال . وقد رفع
الامر لولاة الامور واستشهد بنا مضروب من [illegible] ناكر
وكيف [illegible] أو اشهد لزور وهو يسرك انه مساويا ومعادلا
حكم عليه بضع جنيهات فانه ذلك [illegible] في نفسه وظن أن
ذلك نكاية به وتشفيا فيه فذهب الى الماشية [illegible] ثم ت لوقتها
فتميزت (١) من الغيظ ووكرته العصا في صدره كانت الناصية
عليه وحتام عمره و قلب الامر وصار الخصم عصا فتحركت
وقضى الامر أن أقضى ما بقية من حياتي سجينا . وكان الخارس

«١» تقطعت

يصب علي البلاء صباح مساء وازداد يوماً في قسوته وغلظته . لأهب له من المال شيئاً ، ولاطيء حدته برتبه ، فعولت على الفتك بهذا الخارس والهرب من وجه الحكام ، وصرت أرقب الأوقات وأتحين الفرص ، حتي قضيت الغرض وخرجت متسللا تحت جنح (١) الظلام الحالك دون أن يرى أحد حتي بلغت القرية وعرجت (٢) على دار من رميت بسهمه في غيابة السجون

وكان بها ولد له لم يتجاوز الثامنة من عمره فذبحته ذبح الانعام وتحتت به أمه التي كانت غارقة في بحر المنام ، وأحدث ما شئت أحدثه وخرجت قاصداً الخضر والمدن التي لايعرف الناس فيها بعضهم بعضاً فكنت اسير الليل وأكمن النهار ، لئلا أصبح فيتضح عني علي العذاب وبينما انا سائر ذات ليلة ، اذ قابلتني على حين غرة مي سرية (٣) من رجال الحكومة الذين يطوفون ليلا بالبلاد . فجرت الى مزرعة قطن وأنا لاأدرى أن الشركامن لى فيها كمون الدر في الحضن اذ كان حارسها يقظ ، ولما بصر بى وقد صرت بمزرعته ظنني سارقا لا هاربا ، وناداني فوقعت بين المأوى نار وصرت فى حيص (٤) بيص . وقلت فى نفسي لعله

«١» ستر «٢» ملت «٣» قطعة من الجيش «٤» مثل للشدة

توهم خيالا ولم أرد عليه لان السرية كانت قربت مني فأطلق طلقه النارى فأصاب مرماه ، وبعد الرصاص في فخذى فحملته وانسللت بهدوء الى داخل المزرعة ، والنار تتقد في جسمي ، حتي اذا أمنت على نفسى ضممت جراحي وربطتها بعمامتي ولما بعدت الدار ، وشط ( ) المزار . سرت في الطريق العامة وأظهرت المرض ثم في أحد القرى قريب لخالى فأخذني وذهب الى بيته حيث احضر لى معالجا بعد ان علم حقيقة الحال وقال سنجد ذلك في صندوق صاغ مفتاحه وقد اخذت في التحسن حتى اذا كاد الشفاء يتم واخرج لتتم كنس الدار وحط الجدار سلة من الوابور فصفقت رزعا واشتدت الحال . فدنى رب البيت عن درب قد وضع في محاً في الجدار أن ن ي نزل ليخبأ به ابنه . أنه أن كان محظورا على الناس شرقه لا من الحكومة فكن خير وسيلة احتي . ولما لا الليل نمت من د حب الر الادى في مدرية داره حنفية ن اصاب من حرائى أذى . فخرجت أسرى تحت أستار الدجى وقد لحقني الوحى . اقطع المراحل حتى صعدت واي والمصت ساوى وصرت

«١» بأى

رحف رحف الـاحماة وقد عادني الالم وراري الوحع ، حتي حطت بي عصا الرحلة الى هده البقعة وهما حهش الرحال بالبكاء ممترح بالأنين . وسقطت يده التي كان يستعين بها على التعبير الى جانبه ورفع رأسه الى السماء وشخص ببصره الى عالم السر والخفاء يستندي بداه ويستمطر رحماه وقال بلسان يتلعثم « رباه نمد كبر ادبي وعظمت الجريرة وامتعت الحجة وساء الظن وضاق لا عفوك أو انتقامك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أجدر واليق الهي غربت النجوم ونامت العيون وانت الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . فان اغلقت الملوك ابوابها فبابك لسائلين مفتوح . وجودك على اللاجئين ممنوح ، الهي ان طردتني عن بابك فلمن ان من التجيء . وان قطعتني عن خدمتك فلمن اختصر (١) ، ان عذبتني فاني مستحق للعذاب ونعم . وان عفوت فانت رب الجود والكرم رباه دعني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، فان لم اكن اهلا لذلك فانت اهل لذلك رباه رباه وهنا تلوى الرحال واقشعر بدنه وغشته عبرة رهبها فبصره كأنه ابصر خيال ذلك الوليد يسحب

«١» ألوذ

أمه ويخوص في بحار دمه ، وبيده لوحة قد كتب عليها « لا مفر من القضاء ولا مناص من الذهب لدار البقاء ». فما زادك الذي تزودت به ، وما حسنات يوم تلتقي وإياك وقد خرست الالسنة ، وعدم النصير وعز الشاهد وفاتك الشهيد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم يأتي كتابك منشورا ، وترى فيه ذنبك مكتوبا يوم تلتهمك ثرانية ، وتحطمك الملائكة حافي القدم عاري الجسد تغوص في بحار من العرق يوم تدنو منك الشمس فتصليك نارا حامية وفي كل حال من حالاتها سهم اقتصاص وقوس عقاب هنالك رأى الرجل مرأى ورأى اللوحة تدنو ، فانتقض انتفاض الذعر ولوى وجهه وأومأ بيده الى ذلك الغلام كأنه يستحلفه أن لا تدنو فقد دنت . ولن يبعد فقد قربت وان يعفو فقد زلت وان يرق فقد غاصت ، وان يرحم فقد قست . وان يسامح فقد جنت ، وان يتجاوز فقد كبرت ، وان يرفق فقد عتت ، وان يرعى فقد جحدت ، وان يؤمن فقد كفرت ، وان يردسيآته فقد احتضرت ألا بحق من حملتك كرها ووضعتك كرها ، أن ترحم عاثرا ذاتي متجاوزا عن خطيئتي فقد لقيت ما لقيت . لقيت شر مستطيرا وعذابا اليما ، آه من سوء المنقلب سوء الخاتمة ووخيم العاقبة ؛

فرحماك ربي ثم صحا صحوة الموت، صحوة رأى فيها ذلك الشرطى وقد أقبل شاهرا سيف الانتقام فصاح به قائلا ، أيها الحارس مهلا رويدا كف سهامك وابعد حرابك ودعي أعاني ما أعانى ، دعي أقاسي ما أقاسي . اتركني أنازع ما أنازع ، أبعد هذا شقاء ، أبعد هذا بلاء أبعد هذا عناء ، ليتنى كنت نسياً منسيا ، ليتنى لم أولد ، ليت أمي عاقر امن الاولاد والاحفاد ، ثم همد وهمد وقال وشفتاه تضطرب اذا لم تعصروا فافعلوا ما شئتم فما لجرح بميت ايلام ثم لفظ النفس الاخير وذهب الى عالم السر والنجوى فأنفذت وصيته وعملت بأمره فرحمة الله عليه وعلى من يترحم عليه

الليلة السادسة

ولما كانت الليلة السادسة وحان الوقت الموعود خرجت كعادتى فأتيت صاحبى قد سبقنى فتبادلنا التحية ثم جلسنا نتهادى أطراف الحديث حتى امتد بنا المقام الى التجارة والصناعة والزراعة والسعادة . وما كان لمصر فى ذلك من طول الباع وعظم الاتساع فسألته وهو اقول لى مصمع « يقولون أن مصر كانت أمبراطوريه عظيمة ودولة تذات لها الحوراء لتحطب ودها

بدت غيرها من الامم فأنشأت السفن للتجارة والملاحة والمعامل للنسيج والغزل ، وعملت كل ما من شأنه رفاهية البلاد وسعادة العباد وتحدت كلها وتوحدت سلطتها فانضم بعضهم الى بعض يتعاونون على النفع العام فصاروا عارفوا وطفروا تماطفوا فاذ كان للامريكا ذكر فيهم تعالى من افتراق الجماعات المصرية واخفاق المشروعات الوطنية ، مع أن مصر هي مصر . اذ لم يتم جماعة تأسيس جمعية أو اقامة مشروع قد صرف عليه من المبالغ ما يفوق الحساب ، ومن المجهودات ما يعجز عن وصفه أمهر الكتاب غشية أوصحابها حتى يكون ذلك في حجر كل ويصير في لحد ذالموتي يترحم عليه فاطرق برأسه مليا وتأوه من قلب مجروح وكمد متروح وقال

حلبت شطرى الدهر وذقت حلوه ومره وعجمت (١) عوده فعلمت عرضه وجوهره ، فلم أجد أشد من العصاب (٢) عصاصة والهدم مرارة من سؤالات هذه . فقد أدمى الفؤاد فعبره في كل وقد أخي أن أوقف على درك مصر لا يستطيع لا بحث من سكون التفعس واستسلامه استدبر استسلاماً

«١» اختبرت «٢» شجر مر

أتى في خلال قرون وأجيال توالت على الامم شادت لها فيها قصور مجد فى رياض تمدن وقوة وحرا فى حدائق حضر ومصر وعمة تطير متمرح فى وسط أمم سائرة فى طريق التقدم والنجاح

حينئذ كانت مصر أول مملكة صحيحة دونها التاريخ، وأول أمة بزغت شمس العلم والعرفان بين ربوعها، يكتسون الدمائق ويسكنون القصور يؤيد ذلك آثارهم الخالدة ومخلفاتهم التالدة التي يفنى الزمن ويشيب وهي باقية فتية بينما كان غيرهم من الامم مرضى القلوب قساة الافئدة. يلبسون الفراء ويلتحفون السماء ويفترشون الغبراء، فلا صناعة ولا علم ولا أدب لديهم

ونظرة واحدة الى اهرام الجيزة وعظمتها، وهيكل الاقصر وبهجته والمسلات وفخامتها تنبئنا أن هذه الاعمال نتيجة تمدن عظيم ورمز لخيال عظمة الامة التي خلدتها وسمو العقل الانساني وقوة تفكيره وادراكه، لا نتيجة طاعة عمياء كما وهم الكثيرون فانه لما كان وقوع النور على السطوح الصقيلة متساويا بحيث في منتصفها نهرا جعل المهندسون المصريون سطوح المسلات محدبة وجعلوا احديدابها مؤثرا لذلك التقعر

الذي تتوهمه العين بسبب النور ، وهذا من اوضح الأدلة والبراهين على تقدم الاقدمين فيا ترى ما الذي أزرى بها ، وما هذا الضعف المتناهي وما نور هذا العقل وضوئه قد انطفأ بعد أن سطع فبلغ أعلى الدرجات ونال أسمى الغايات ؟

أما يا صاح نزعم أن مصر قد فقدت حريتها منذ أعوام متفرقات من الفاتحين والطامعين الطامعين فيها الرعاة ثم الحبش ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان ثم العرب ثم الترك ، فمنهم من اكتسب منها التمدن أو زاد عليه ، ومنهم من أفسدهم ، حتى تم تحتلون فجعلوا على قلوبها أكنة (١) أولئك القوم الذين جعلوها عرضاً عليهم ومسرحاً لأهوائهم ومحط أنظارهم ومبدأ في عرضاه عود سياستهم . فقضوا على مفاتيح البلاد وتراءوا في القضاء في الادارة ، وزاحموا في تجارة والصناعة فلم يتركوا طريقاً لأمر لا قبضوا عليه ولا سبيلاً لصنع لا استولوا على زمامه لو علمنا هذا كله وفهمنا ما وراء ذلك من روح متأخرة في الأسواق لأدركنا سبب التأخير ومنه القوة

«١» أغطية وستر

الادبية فيها وعدم نجاح ما شرعنا فيه أو أقدمنا عليه . فكن
كيف شاء الطالع طحاناً في سويسرا أو مدرهاً (١) في فرنسا أو
مصوراً في ايطاليا أو فحاماً في انكلترا أو مهندساً في ألمانيا فذلك
خير لك من أن تكون تاجراً في مصر أو رب مصنع فيها أو
تشد يداً وثيقة بأمري فقد قضى الامر وجف القضاء . ولعل بعض
القوم يستشهد ببريطانيا وما نالها من المساويء وحسبهم ومع ذلك
ظلت نامية مسرة حاجبها يخفق على ربوعها علم السعادة ويلوح
فوق أرضها وتحت سمائها لواء التجارة والصناعة . فكم من شركة
نمت بالجماعات وكان يظن أن لا قيام لها فلم تلبث غير قليل حتى
امتد سلطانها واتسع نطاقها . وكم وكم ترى كثيراً من المعامل
والمشروعات تزداد اتساعاً كلما مرت الايام وعدت الاعوام
فنقول إن الامة الحرة كفرس مطلق يسير رافعاً رأسه
يستنشق ملء صدره الهواء النقي ويسرح في المرعى الخصيب البهي
دون أن يكون عليه رقيب وعتيد يصده عن سبيله ويمنعه مما
يريده وأما الشعب المستعبد لغيره فهو كفرس يدور حول
الرحى مطبق الجفنين كليل العين يسير السنة بتمامها دون أن

---

(١) محام

يتنقل من مكانه فلا يرى ما حوله فيتنسم حظاه فيكمس أنكماشاً ويبروى انزواء وقد يكون ذا مروءة تبعثه على التماس لرفعة وانتشاء المصانع فلا يجد من يشد عضده كالشعلة الكامنة لا ينقصها الا احتكاكها فيبقى خامل السيرة خافض الذكر يموت وقلبه مفعم بسديد الآراء التي لو برزت للملأ لأنارت من حولها ولكن ما حيلته فلم يره الدهر انصافا

ولقد كانت المعاملة التي يلاقيها سفلة الأجناس من الاكرام بغير علة ، والتجاوز عن الذنب الواضح . باعثاً لهم على سلوكهم مسلكا ركبوا فيه متن التشطط (١) فاغتسموا لحقوقنا ، حتى اذا مقتنا نطالب بها . لم يكن نصيبنا غير اخرى والظلم فتمرأت في قلوب النوم الهيب والخوف وأصبحوا لا يتحملون المصاعب لنيل الرغائب ونالوا الذل ورضوا به ، وخشوا أن تكون الكُدية (٢) مع الكد ، والخيبة مع الجد ، فاستسلموا للمقادير وقالوا ان ربنا سيهيء لنا رغدا

واذا عامت فوق ذلك ان قوما . رعاهم الله . مشغوفون حبا لحب الأنانية والظهور ومولعون بتوشح رداء الرآسة

«١» أي جوزوا الحد اللائق «٢» الفقر

ولا ولعهم بالمال والبنين ، أيفت نخبة مسعاهم ، فاهم أن هموا لعمل أو قاموا بمشروع قد أعدوا عدته . لا يلبثوا أن يختلفوا فيما بينهم ، وتقوم قيامتهم وتتباين سرعتهم ويحمي وطيس جدالهم وتشتد وطأة كلا منهم على من يرأس هذا العمل فتراهم ينقسمون شيعاً ويفترقون قددا ، تفرق المدر والحصى في البيداء والصحراء يمسون ويصبحون ، يجيئون ويروحون ، يجتمعون و يفرقون . وما اتفقوا إلا على ان لا يتفقوا . فرحماك ربي وفضلا بتحي ورشدا بتعي

فتحوم حولهم الظنون . وتصيبهم سهام اليأس والتخمين . و تود بهم العداة والعصاة وقد اجتمعوا أخلاء أصفياء فيحبط مسعاهم وتغيض مياه آثارهم ويصبحون في ديارهم جاثمين (١) وعلى ما اسرفوا نادمين ولا عجب فى هذا فقوما فريقان ، يعرف أحدهم بالوطني والآخر بالـ... ر:؛ لا أحد لتعريفه حدا . فهو ليس بالعريب المارح فيوصف بالاجنبي ، ولا بالدخيل فينعت بذلك وانما هو مصري وليس منها ، ووطني وليس منه ولا الوطنية لحمة او سدى (٢) فواحيرتاه في

«١» جثم لطائر تلبد بالارض وكذ الانسان «٢» ضد اللحمة

تعريفه مدس بن الجماعات كواحد منهم يشاركهم آراءهم
ولشاطرهم أفكارهم ، وهوعين (١) لهدم جدرانهم وتقويض
أساس بنيانهم . لا قاتل الله أمثال ذلك ومحاهم

هؤلاء قوم يها السكون ويتكالمون على بدخل الاجنبي بينهم
يتوسلون بذلك للرياسة ويبيعون ديارهم ودينهم بيع السلع
ويتقدمون غزواتا لما يطمعون فيه يصلون أليه من عرض
زائل ومال فان وهم لان أراب الملك وغيرهم الحكم . لهم
المشور ولغيرهم الملك

يريد الوطنيون الحرية الادنا والاستقلال جمعا ، ويريدهم
أحفاء شمسها ويقولون أن الحرية تبطل تماما وعوض أركانه
ولاستقلال يفسد أتماما فلا بد أن يكون في رتب العباد
على من حد لد ولا بد ابجمع من التشد لد ألا ءلهم لله

يجر الوطني الى الوطن وأهله وهم يصرون الى المصلحة
والدير فان يصاح جمع الملاح وان مشروعات بحج ويحر
بن بارن اردهم بذيب الصحور ولصبر الاحجر أن تندمس
الى الامام دانا الدخيل . حاس ر) وان تأخرت الى الوراء قال
من لم اعرف له وصفا . ما يكم من مراس . فان امعو ن ابهرب

---

(١) جاسوس « ٢ » خيس حمص

أن المستمر هذه حالنا وهاته أحوالنا عرفنا حقيقتها وذقنا طعمها فهل نظرنا في أمرها وبحثنا عما اذا كان هناك وسائل حاسمة لاسباب علاتها . واذا كان فما هي وهل من المستطاع الوصول اليها ؟ فقلت وأنا شيق[1] لكلامه أيه يا صاح فقال

لا هادى أهدى من الاحتياج ، ولا مرشد أبر في ارشاده من الافتقار وقد جاء في الامثال «الحاجة أم الاختراع» فالظمآن يبعثه ظمأه على التماس الماء ، والمريض يبعثه مرضه على طلب الدواء وحالتنا هى التى تهدينا الى الوسيلة التى يجب أن نعتصم بها وما هي الا الصناعات الزراعية ، والحكيم الطبيب يداوى علل نفوسنا ويعالج مرض نفوسنا . فيصلح ما فسد ويروج ما كسد فينا حلماً جديدا فقد شرعت افكر في انشاء مصنع للغزل والنسيج مثلا . فلا بد أن ارد حتى يعقد مشروعي وتثمر فكرتى فقد كنت مغلول الارادة . صارت الفكرة كـكل الآراء التي تمر بالرءوس ولا تترك أثرا

فاذا كانت ارادتى حية فعاله ، كان لا بد لى من خلق ثان لتنفيذ مشروعي وهو خلق الاعتماد علي النفس . فاذا توفر هذا

«١» مشتاق

خلق عندي احتجت الى خلق ثالث وهو خلق الثقة بالنفس لامتلىء بفكرة القدرة علي تنفيذ مشروعي وحينئذ لا بد لي من خلق رابع هو خلق الهمة لأنهض بالهيئة وسائل العمل المحققة لغرضي الدفع فاذا ما شرعت ، احتجت الى خلق خامس وهو خلق المثابرة حتى لا أكسل ولا ألهو عن مشروعي المفيد وليس من مشروع الا وتعترضه صعوبات وعراقيل فاذا توفر لدي الخلق السادس وهو الثبات ، ضمنت لمشروعي النجاح ولعملي الفلاح تلك لعمرو الخلق سر الاقتصاد ومناهجه نمت الامم وعات بالشعوب التي تحلت بها وذلك ما نريده لانفسنا ونرغبه لوطنا

نريد رجالا عاملين . هذه صفاتهم وتلك مميزاتهم قد أخذوا من العلوم اوفرها . ومن الموارد حلالها واعذبها . ضحتهم التجارب طحن الرحى سهلها (١) . وعلمتهم لا يدم كيف يكون مكرها ودهاؤها خبيرين باساليب السياسة خبيرين شئون الاقتصاد واحوال الاجتماع والعمران عارفين كيف يقيمون بنيانهم ويشيدون الاركان على أساس متين وأس قوي مكين ، قوامه العدل

١) السهل من كل شيء

وأساسه المساواة، وجوهره الحرية وعماده الاخلاص في العمل وصدق النية أولئك هم القوم الذين عبثا بهم النفوس وتمثلهم لنا مرآة الأماني، وحيا على نعيهم فينا ووجودهم بيننا، منا ونحن منهم ولكن أين منا هؤلاء وماذا يصنعون انهم ان وجدوا لا يفيدون، وان قالوا لا يسمعون. تعشى كلماتهم وترتفع فوق أصواتهم، رعود المدافع وصفير القنابل — قنابل القلم ومدافع المطبوعات — فتصليهم نارا حامية اعلوبهم دامية، يحمهم البلاء الازرق ويدفونهم الموت الاحمر محاطون بأراذل قد اتخذوا من اقفية النعال وجوها كالحة يلطمونها بالابواب، ويفرغونها على الاعتاب سعيا وراء كلمة ساقطة من فم آمر أمين. وتشاوفوا [1] على حركة خيرية صادرة من صادق صدوق. فنحن بين أمرين احلاهما أمر من الصبر وأخشن من الصاب اما الصبر على مرارة القهر وأما الموت الى حين — الى ان تطهر النفوس من ادرانها الى ان ترد الصناعة لاربابها. ألا قرب الله يوم عزنا يوم مجدنا يوم فرحنا يوم استقلالنا، فقد مسنا الضر وانت ارحم الراحمين،

وكان ذلك ختام بحثه وغاية شرحه فشكرته شكر الروض

«١» تصغيراً

بعد والسارى للعمر ثم هم بالانصراف واعدا اياي على ان يعود في الليلة المقبلة وقد خرجت نحوه فسرت قصد الدور فلما توسط الطريق وجدته قد كثر فيه المرور فازدحمت بأهل الخير والشرور وأحاط الحبال (١) بالدال (٢) وعهدي به هادئا ساكنا من العدو والرواح وقد عاهده الهدوء ومسحه السكون ألا فسرت اراه على روعه حتي يكاد المار به يظن أنه في طيبة (٣) الاموات أو في ساحة المؤمنين وقد أقاموا الصلاة فاستغربت ذلك ودهشت وما كدت أسأل القوم عن الخبر حتي سمعت صياحا عاليا من شيب وشبان وولولة نساء من ثيبات وأبكار وقد ملأت الفضاء وبلغت عنان السماء ورأيت عجلات تكر وتفر ورجالا من وتر فاذا بهم رجال الاسعاف أقبلت وكأنهم مردة جن يتبعهم رجال الادارة كمرسي رهان يسعفوا المكلوم ويصفدوا الشقي الأثيم شقي قد عبث عليه حب الكاس (٤) وملك فؤاده حب الميسر وهوى الحسن فقصدت في ساحة قمر دراهمه فكلمه ذلك وأوجعه فرجع الى أمه يسألها فابت (٥) عليه يسترجع

١» الذى يختص «٢» الذى يصنع المحل «٣» اسم بلد فى الوجه القبلى جعلها قدماء المصريين مدفناً لموتاهم «٤» الخمر «٥» دراهمها

ثانية بعض ما فقده — فلم يجب له طلبا فبدلها يد السوء وطعنها طعنة مزقت حشاها فجرحت تسبح في دمائها وخرج شاهرا سلاحه وهو يقطر من دم أمه الطاهر كأنه أتى أمرا جليلا أو عمل عملا نبيلا فياويله

فانقض عليه شرطي كأنه الرحمة نقبض نفسها ومسكه مسكه جار عنيد وأنزل به البلاء الوبيل وسحبه كما تسحب الكلاب مكبلا في الاغلال والاصفاد (١) والكل يلعنه كما تلعن الابالسة حتى اذا بات بين زمرة ونزوى عن الجمع برد حينه سمع الناس صوتاً عالياً ، وصدى داوياً . لا يبصر قائله ، ولا ينظر صاحبه . فتنبهوا كلامه وانصتوا لسماعه فاذا به يقول

أيها الناس، من عاش مات وما هو آت آت، اسمعوا وعوا واذا سمعتم فارعووا ، احذروا الآفات ، ومهاوي اللذات ، واحفظوا العهود ، وارعووا الوعود ولاتضيعوا الحقوق ، اين وقار الآباء ، اين احترام الامات . أين مكم الاحسان . أين العطف والحنان ، أين صلة الارحام ، أقطعت أسبابها أغيضت مياهها (٢) أنضبت عيونها (٣) أيبست أغصانها أجفت أوراقها

١ قيود ٢ غاص الماء قل ٣ غار

ما بالكم أعرضتم وعن سبل الرشاد نأيتم وما بالكم طغيتم وعلى حدود ربكم اعتديتم وبآلائه كفرتم ولنعمائه جحدتم ومن آيه سخرتم وبقوله « ووصى(١) ربك ان لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا فرأيتم بالله اتوجدن أحدا واتمدن يدا ولتلقن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة جزاء وفاقا بما كنتم تعملون

أهكذا جزاء الوالدين ، أهكذا حق الابوين ، الحيار للروجات وكره الاخوة والاخوات وعقوقكم قتل الامهات مالمور عقلكم قد نقصا ولرشدكم قد احتما

ايها الناس ، انظروا الى لمن تروا الخان وندبها . واحور العين بحسانها ، مزخرفة مزينة تروا القصور العالية فى الحدائق اليانعة . فى الرياض البانعة . تروا السرر المرفوعة . والنمارق (٢) المصفوفة والزرابى (٣) المبثوثة تروا الغيد نيم . ولهن الزوارف تروا الثغور باسمة والوجوه مستبشرة ضاحكة . تقرأ فى سيمائها

١ أمر ٢ الوسائد ٣ الطنافس المحمله والبسط

« الجنة تحت اقدام الامهات » فارضاؤهن من أوجب الواجبات
تروا كل ذلك فتروا مقام من أحسن لوالديه .

وانظروا الى الشمال تروا النيران متقدة ، ألسنتها مندلعة لهبها
عنيف . وطعام أهلها طعام بالزقوم(١)، وشرابهم الغساق(٢) بئس
الشراب وساءت مرتفقا تروا الوجوه مسودة والصدور مرتدة
غيظا عبرة ، ترهقها قترة تروا العيون غائرة ، والنفوس زاهقة
تروا ويرون شرا مستطيرا وعذابا عظيما تروا ذلك فتروا العاق
لأبويه مؤذي والديه قد ترتع في سقر وسكن في قرار الجحيم
تعالوا وتعالوا أريكم مقامه وموضع اسه ومقامه من السعير
والويل ( ) من طبقات الذهب يتقلب من النسمة النيران يتعذب
ب ستعاب يعات تباء كالإبل ( ) لشوى الوجوه يخيل له مرأى
مثل كثير ما يرى الانسان بسم على الخرطوم ويسلك في
سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وماله من نصير ماله من شفيع
ومن صاحبه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أيها الناس ألا احدثكم
حديث ما ان سمعتموه ووعيتموه لن تضلوا بعده أبدا واقص

---

١ شجرة تخرج في أصل الجحيم ٢ الصديد والقيح ٣ اسم واد
في جهنم : النحاس المذاب وقيل دردى الزيت

عليكم أن نقص مما أوحي به السلف الى الخلف ، فقد قيل
انه كان لرجل مزرعة ورثها عن أبيه . ذهب في احدى الليالي ومعه
بنوه ليسقي نبات الارض وزرعها ولما هاجمه سلطان النوم وطرق
سكرى نومه حيث تمشى به المنام وجعل أولاده يسقون
الارض حتى اذا وصلوا الى موضع منامه . عز عليهم قيامه
فتركوه في منامه شفقة به وحنانا عليه حتى اذا ما صحى الرجل
من مرقده وقام من مضجعه وقد رأى ما حوله من الارض قد
رويت . لا ... أبيه وعاتب أولاده على تركهم اياه تركا أدى الى ترك
بقعة من الارض لم ترو بعد . فقالوا له أمن أجل ري تلك القطعة
نحت ومن ... وطرق الرجل برأسه الى الارض
كأنه يستعرض في مخيلته صور الحوادث العابرة ووقائع الايام
الماضية ثم رفع رأسه وقال ... اعلموا أن ما عملتموه معى
الآن هو صورة مكبرة لما عمله أنا مع أبى ـ رحمه الله ـ في مثل
هذه المزرعة وفي عين تلك البقعة فرحم الله من قال كما تدين
تدان» وهل جزاء الاحسان الا الاحسان فمن منكم من هؤلاء
الابناء البررة

ألا انى أوصيكم بالوالدين خيرا حتى يرضى عنكم العزيز الرحيم

ألا هل بلغت اللهم فاشهد ثم سكت فلم يسمع له بيان فعلم القوم أنه عنهم نأى وبان (١) فآلى (٢) كل على نفسه أن يحسن لابويه ما استطاع الى ذلك سبيلا ثم تفرق الجمع وسار كل فيما اختاره من الطرق سبيلا

الليلة السابعة

ولما كانت الليلة السابعة وعسعس الليل واطات العشواء وأطلت الظلماء وانبثت النجوم في عرض السماء كالدر الابيق على قطيفة حمراء وكأن المجرة جدول ماء نورى حافيه الاقحوان (٣) وأصابع العرفدان (٤) فلم ما رت من أسود النقاب المقلة الزرقاء فترومت القمر وشروقه حيث أحديتا حرلاً سير في صوته وسناه فكان وقد أخذ في الشروق كأنه طاقة (٥) الورد في احمرارها أو جذ سناة وقد رمت قميل وجمالها فعاتها عوامل الجمال ، زهو حتى أشبه لون المحاسن كشعر الغادة العسجدي (٦) وعلى جيدها السمن فكان السرور يتسرب الى فؤادى كما يتسرب

---

(١) غاب (٢) اقسم (٣) زهر معروف (٤) نجمان قريبان من القطب (٥) صحبة الورد (٦) الذهبي

الماء من منحدر عرور مطر ، فهاجه شجوه والتمت به حيوش الحور ـ حيه ستتي سرورا وتسمع قولا ميسورا (١) وما رات سائر حتى و قيت سام وقدتكسرت أشعة القمر الارجوانية وسـال سال حيوط ، سمائية وحباله الدائية على تلك المياه يتارجح النسيم فتبدو مواجية و بعضها بعضا كما سطور الكتاب على بياض قرطاس

وه حل بمث . و من المـكب ، حتى وصل دو اللسان الرنيق ، ، الخلق الحمد حير رفيق و فصل صديق فهو يحملات على ـ ـ و ـ ي حسـ ـ ـ ت ( ) ويسير ت ميل و مرسح ومن من ح ـ ـ ـ ـ ا الحيا حيد الله ، تحية مولى مولاه وحلس حاسة الد ى ره هو و به لا مسئول

ـ ى ـ ـ ر يت من وداعة ( ) حـزمه ورمة حصه وعذرة كلامه التي ـ ـ ـ ـ فدعها مسحة من ماء و تديها و ة ـ حر ـ و عسحر ا و لكنه عرض وعما واس ـ هم ومار رسكه رثى و ـ حت راحل ـ حست من ره حيفة

---

١ رسيد ٢) مصح «٣» جمـ ٤) هذا كناية عن انه مره ي تحـ ي ـ سر تعب المسير وتعب السبيل «٥» ايـ

ن يكون قد عثور (١) سانحة او أصابه سهم قد صال السايل فداس بات بحير اعمال واشتد فرب بين الضمير والعات وبدا يوم حتمت هواى وذاك يقول قد أوقعني في هواى ن يمت الصد ، فر ، وان رجعت الى العمل فى مكانه واستقر فذات ن م ميلى زلى لا كون من احاهى

عين ن ات الخرب المعوية ه تاس ن وجعت اوزارها حيث الحظ ـ عني ه تمر النسمة طوت ما ه ت من الالم وهم هت من السحر • وهل مستعر حليني م اب الساعة ، رت رعميد ا المرست ما ات مه كسم (٣) م عا كسك الم و سعدى عايات الهم ه الادهادة ه الديار امنة أما ولاؤ ات دحته • أى عرى ماى وانه د كرت شيء به صرف لا السعادة والتوفيق • سعادة هي رؤياك وتوفيق هو محـ • الـ لارهة مرت على وبحة حانها صده خطايا رلي ر ى محيك قد حاي الشاب ور تي الطموح فمضى عد ؤلـ م حيث قد متسا • دعا الآن تمتع النظر من هذا الماء وسطحه اللازوردي وقد شمته خيوط خاسية اللون تتدلى على

---

(١) ـ ته (٢) حان (٣) متعط

صرح من فواز بر فصى المنصر حيي روية . دهمية الاسلاك وقد
ناهت الاولاك وحارت لسماك . وهو يتص من حكم محي
ومن العصب ميلشو ومن "سعر الآداب" م فيه آيات ساطع
وعلى ذكر الم و الادو من " د ، حب في سى و عن ق
سؤال م صرق الآداب فم يمر كل انسان وقت له

ذكرت سيمى الع والد و الأمين امداد ال وافي
بيان شاف بر الد عن ى حر س اعنا لاد .
أورقة الباحة ورقة المعروف ،

ـ ل لى و ته بركه من صحة ستح عيو سد
بورد د لدو ذكر كم حد عي كوله على عن موسى
سعر لوم كت كي دي ر تمت كم عدي ورعيت
كر الاد رت د ـ ك مكى ـ في حقة
عد حرى من الواحس و شمت لي ل نروح د حر
تسمح سه ترى د لا ـ ع ـ ستة لكرته ودر

حكم قي غية عتر مصر صعيف و عد مصرد
وحد قا حر وحصد حد ق رني م رمة من من وجودهم
الطمى عصبة برص و ـ ر ـ ع ـ ي سعى ش رفع صوت

الأمة و[illegible] أحوالها وتوفير اسباب الراحة وتمهيد سبل السعادة الى غير ذلك مما لا يكون الا اذا انتشر العلم وسطع نوره فأضاء الافئدة وهذب النفوس فيأتيت كل [illegible] (٢) أمناً مطمئناً ولنعض الآن في العلم [illegible] تأييد وهل هذا صحيح ام لا

[illegible] الاستاذ [illegible] في مؤتمر [illegible] الذي انعقد في [illegible] (٣) [illegible] من [illegible] عن [illegible] على [illegible] [illegible] ان يكونوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ان صدق [illegible] على [illegible] [illegible] مائة [illegible] لأن الحكومة [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] وان [illegible] [illegible] الحكومة [illegible] رأت (٤)

---

(٢) [illegible] (٤) [illegible]

علما او معتشرا لان في الخيطة كسب نفسين وفي الاقتصاص
ضياع روحين ، فما أصدق الاستاذ وليام اق وسر وما أحكمه فيما
قرر وسطر تنادي علينا بصحح (١) بضرورة تلقيها في كيفية الوقاية
وكيفية وصول اليها وقد ذكر كيرنى كفور في المعرض الذي اقيم
في لندن عام ١٨٦٢ م « ان جبرائيل اليوم جميع الامم والشعوب
المتمدنة . بمراد رامو وقاية المستقبل وتأييد المبادئ التي هي
اسس الهيئة ... ية ومواضع المتحاورة بها . لانه لهم ان يعدوا
... الحد ... ية متحدة ... متمدنة من ... رحه لاولى ،
وحد ... لا ... ... بازائي ... ... قول ... كان »
... ... وه ... ... شمس من
... ... صيغة هي التي تحمل العمال
... ... صحيح ... و ... حسنا
... ... من حضري ... ... وموت ... من لعور ،
وع ... ا ... ... مادي فقد ارا ...
اعد ... ... كثر من هذه ... ... وستحمهم في رعاته فشرك
... يور ... سيح ... ... و ... في تميق ... رهم ومعك عام

(١) ... ... صحي

المادة فعاش ناعم البال عزيز الجناب

والحكومة بصفتها هيئة تشريعية مشرفة على امر الجمهور عليها واجبان ، وقاية المصالح ومحافظتها على أسعاد شعبها ، ورفع منار العلم. قال فوستر السياسي الانكليزي الكبير ، تعلم ان العلم عين الفضيلة ، وأن الجهل ضعف ، والضعف شقاء ، والشقاء باب الرذيلة رأس كل بلاء ومن ذا الذي لا يرى في المدن والقرى صغارا يمشون سالكين مسالك الجريمة وذلك لحرمانهم من العلم فكيف نرى ذلك ونصبر. قرأت ما صاح قول لرجل خالك لي الحزن ثيابا من الاسى الاسها اغطاب تجرى الدمع ، ردها سواد سائل الفؤاد ، فاتخذت منه مدادا معنويا أصف به حال أفرادنا وبلادنا واصيب الوطن من المنبر ، استغفر الله بل من الجهل ، فقد أخذنا منه أوفى قسط

في بلادي وبلادك يا محمد ، صغار أوسخ من شيوخ همذان يمشون في السبل والاسواق . منكشة شعورهم ملطخة بالادران والاوساخ وجوههم كأنهم خارج من بقايا امة وحشية خلت . فمنهم زمرة يلعبون بالكرات البلورية يطلقونها ومن ورائها يطلقون السنتهم بما تقشعر له الانسانية وتحمر منه

وحوه العجائز وشر من هؤلاء واقبح واسوء منهم واوقح
قوم يجلسون فى الطرقات ولا هم لهم الا رصد الباعة حتى اذا
مر بهم بائع قام أحدهم يوهمه أنه يريد الشراء . حتى اذا تمكن
من شيء أخذه وجري عدوا . فاذا ما جرى البائع خلفه ، ده
الاخرون و أخذوا ما نسي ، فيرجع الرجل ويلتفت لتجارته وقد
بددت ويجد رجله فيها . تعبه فى حماها وما بها بيع . هؤلاء هم
أشقياء اليوم ولصوص المستقبل وعنهم يصدر ... الحفظ
وعن هؤلاء شر مكانا و ... ، صبية وجد ... لأذى
في ... وجدوا ... لا ... عة
... شو ... دب وتقوا الا ... وقد ...
أحدهم ... هجمة ... فيلحه ... و يشده ...
حتى يكاد ... فيحييه ... و ...
ولا ... رقة ... وسعة ... في
صدري ... ولا ... معه
تصم شتات ... فيتعمون ... و ...
الاوان ومحتمل الاعتداء ... من طريق ...
المقال حامله

يذهب فريق من الناس، وكثير ما هم ، الى أن الامن وسعادة العباد يتوقف على ما تسنه وتباشره وزارة الداخلية التي أخذت على عاتقها حفظ الحقوق، وانها هي وحدها المسئولة عن كل فساد . وهم غير ملومون في ذلك وكيف نلوم جاهلا أن وزارة الداخلية كآلة محركة أو كعدسة كهربائية تبعث حرارتها الى ورقة مواجهة لها فاذا وجدت ما لما حال بينها نفس ممنوع وان كانت لا تزال قائمة لعمايا حق الاديا أو كزرع يبذر البذر في أرض سبخة ويجد نفسه في فلحها لمعاق أسنها فلا نبت فالامة كالارض والملاح كالداخلية ، والبذر كالقوانين والنواميس . فان كانت الامة ذات استعداد لها فبها و لا فلا خير يرجى ولا أمل ينتظر ، وان مضى على ذلك السنون و العقود . وغير ذلك كثير من أنواع الاحكام

ومتى ذهب ذلك فيداو نحن الداخلية والمعارف وغيرها الخ هو العضو الرئيسي في الجسم يبعث بالحركة الحيوية لسائر الجسم . وهو في ورائه وصفائه وسير حركاته . ادق كثيرا من الداخلية وغيرها فيقوم كل عضو بوظيفته فاذا كان هناك عضو من الاعضاء وكان به نقص كأن كان أشلا مثلا فهل كونه أحد

تصيبه من الدم جعله صالحا صلاحا يؤمل فيه المطلوب للهم لا
وكأنه يرفض ذلك الدم قائلا لا فائدة من ذلك ما دمت معيبا
في أشبه الداخلية بالحركة الحيوية في أوامرها ومباشرتها
ذل هي اصابات قوما هدمت عقولهم وسممت مداركهم فطهرت
نفوسهم وفلت عزيمتهم وسلبت (١) [illegible] ومتثلوا أمرها
وخضعوا قولها [illegible] ما وجدوا

ولا فرق المسألة في [illegible] حلية
[illegible] ورسول وسيد ومسود [illegible] من
الأعمال [illegible] فتوز [illegible] (٢)
[illegible]
[illegible]
[illegible] مشتركة
[illegible] فتصبح حكومة
حكومة [illegible] ومصلحة
الاد [illegible]

[illegible] حكومة [illegible]

---

(١) [illegible] ٢ [illegible] ومن غيرك

الاحرى واما القسط الاوفر من هذا نخص الآباء انفسهم فقال

نعم لك بعض الحق في هذا ، فان الوالد مأمور من قبل وجود

الطفل بحفظ المولود . وبما أن الانسان ذو وجود حسي ، ووجود

ناطق ذو وجود عقلي فمن دعاه من حيز العدم الى حظيرة الوجود

لزمه حفظه . وكما يجب عليه ان يطعمه ويكسوه ويقيه شر

العوارض الى ان يشتد منه الساعد ويستغني عن المساعد ، كذلك

وجب عليه ان يغذي عقله بلبان العلم ويرضعه الادب والتهذيب

ولا يتركه سدى فيجني على نفسه وعلى فيفقه اولا ويجون وطنه

ثانيا ومله من بعد . فقد قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه

الله « الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر التي جوهرة نفيسة

سادجة خالية عن كل نقش وصورة . وهو قابل لكل نقش

ومائل لكل ما يمال اليه به . فان عود الخير نشأ سعيدا

في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب .

وأن عود الشر وعمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة

القيم عليه » ولكن هل كل والد قادر على تربية ولده ، اللهم لا

والا فسد الكون واختل نظامه فهم طبقات متباينة بعضهم

فوق بعض فمنهم الغني الموسر والوسط الحوال والفقير المعدم

فأين يرى هذا المسر ولده وفلذة كبده ، حتى تسقط عنه ربقة الوزر واصبر في حل من امر ولده وليس لديه من الوسائل مايعمي انهم الا أمر ناقص وعمل معتل فات وي تتي تعي «قال لمحاية ، التي ان قام ماماد فتح ابوابا . رجع وهم من حنقه نصيحون أن لحاية موحمة تريد الصرف فهي صريبة فادحة تريد على الامة ثقلا فهي اصا بدعة مستحدثة لم احدثها الا التقليل من الامم ، فهي ايضا من آثار الاباحية وهذا متعلق بمذهب الاشتراكية مدى تجاربه الامم يعوثون بافواههم ماليس في قلوبهم فما احدثهم ... وما اعتنوا لوطنهم وكأنهم يبدون ترك الوالد وماولد ولكن لا فإنه اذا وجب على الوالد البيئة الاجتماعية تعليم ولده حتى لايكون عالة عليها وجب على البيئة الحاكمة توفير اسبابه وتمهيد السبيل له . فتجعل التعليم حرا الا شرط ، لا قيد ، لا اجر فتزال من امامه كل عقبة

وان كان هذا الوالد من صنفهم العدم فدى ألزمته تعليم ولده وحق عقابها عليه أن دفعه حيا كم تعاقب من يعذب ولده أو اسقطه حيا وأن قتل النفس والعقل اشد من قتل البدن وان يهلك الرجل ولده خير له من ان يميت عقله قال ...ي

الاقتصادى الشهير

« ان مركز المحترف العامل يدني مقدار دخله الى حد انه لا يكاد يفي بحاجاته الا نشق النفس فإذا استطاع تربية اولاده وتعليمهم حرفته ، فهو لاشك عاجز عن ان ينيلهم من العلم القدر الذي تقتضيه حسن الحال في الهيئة الاجتماعية فإن رامت هذه الهيئة ان تمتع بهذا القدر من العلم في ابناء المحترفة العاملة وجب عليها أن تنفق فيهم على نفقتها بانشاء المدارس المجانية (الاقتصاد جزء ثالث فصل سادس)

على أنه قد كره كثير من علماء الاقتصاد ونصراء المساواة وحلفاء الاخاء حصر المجانية على أولاد الفقراء ولم يرضوا بهذا الامتياز على مقاعد الدرس . علماً منهم بما ينشأ عن ذلك من الاحن والعداوات وما يترتب عليه من الحزن وفساد النفوس وتنافر القلوب إذ تقسم الصغار فرقاً ، فإذا نشوا كان بعضهم لبعض عدو يتربص له ريب المنون ، فقالوا بتعميمها

ومن المدهشات انه مع كل ذلك لا يزال أعداء التعليم في مصر يقولون أن المجانية ضريبة فادحة وحجتهم في ذلك قولهم أن الامة تصرف الألوف من الجنيهات في سبيل الخدمة لحماية

الوطن ووقاية البلاد من كل عدو طامع فيها أو مغير عليها ، فهي لا تستطيع تحمل الحماية بالهم من محسوايس ؟ والله بالشفقة والرحمة أولى منهم بالملام أي مال أولى بالصون من العقل . وأي مكان أحق باصلاحه ووقايته وتدعيم أساسه وتمكين جدرانه من ساحة العلم ، بل اي عدو أعدى من الجهل يخشى بأسه الناس هو المضعف للقوة العقلية الذاهب براحة المدنية الداعي الى المفسدة المقرب من البلاء المنئي عن الكمال المسوي بين أنسية الانسان ووحشية الحيوان ؟ ليس هو يسعى في المجد ويدك أطواد العز ويهدم دعائم القوة ويجعل البلاد عرضة لكل طامع وهدفا لكل رام وسهدا لكل سهم وقد قيل «العلم هو القوة» فكيف تبذل الامة أموالها ورجالها لرد طارق خارجي ثم يكثر عليها صرف معشار ذلك لدرء عدو دخيل ملازم ؟ لاجرم أن من يتأمل في ذلك لا يكون الا شهيدا بعدو فان نفعة التعليم لتثقيف العقول واحدة كخدمة ... أشد . لأنه أساس قوة الجندية وعماد عدل القضاء ودعامة حسن ... .

قال ... في تقرير ... عن مجانية التعليم لا تدني في بلاد الفرنسيس سنة ١٧٩١ « ويجب علي الامة أن تقوم بدفع ذي بدء

مما يلزم للدفاع والحكم وأعلاها وأرفعها الأول هو العناية بحفظ وجودها الذاتي من كل عارض ثم النهوض بما تصون به الحرية والملك ابتداء عن مجموعها الدوارك التي لا يمكن اسداؤها في حالة الانفراد فتحصل لهم المنافع الوطنية الناشئة عن حسن الاجتماع . بل ما وجدت الامة الا لهذه الغاية فان لم تدركها فقد أهملت حكمة الوجود ولما كان التعليم خير تلك الوسائل أثرا ، وجب على الامة بذل كل ما في وسعها لتيسيره لاعضائها اجمعين» ولقد أصاب الرجل في قوله كبد الحقيقة . فان العلم يقوم النفوس ويقر الامن ويسمت(١) الاخلاق ويوسع موارد الارزاق فيصقل الطامع ويهذب العاصي فيصبح الكل اخوة متضامنين وكتلة لا يقوى على صدمها كائن من كان بيد أن الجهل يجعل القلوب فظة والنفوس منحطة والاخلاق جافية وعيون الارزاق ناضبة ، فتكثر الاطماع وتحمل الفاقة المرء على ارتكاب الكبائر فلا تحاب ولا تتضامن ولا أمن ولا سلام فيحصل انقسامهم ويسهل اقتناصهم والتغلب عليهم

وأن للسان يتبعهم والعلم يعمر ، فصبرا فمن على ما أصابك

---

(١) يهذب

ولا سكسر . وصبرا فى على ما حل بك ولا تدعر

أيه أيها الدنم حاهر تصوتك ولا تحف . وقل يا وزارة المعارف عمى التعلم واشربه و حعليه حرا اعير حر قل لأولى الامر أن ما معقوه علي الشرطة السرية والعلنية لافصل منه الانفاق علي التعليم وان عقوا ان الامن لا يستتب الا بشرطة عامة واية الى السويسرة ورئ حاله هذه ارى أن لا شرطة الا بطام ون الخرية هناك هي حاحب رئيس جمهورية قائل صيوفه بابتسامة حلوة بل حد اعياء الادلة ورئ جمال تلك البلاد . حدثنى في مجالس العدل واسمعهم العة مستوة امة التعم بهم يذكرون ما قومهم في عهد المحول ومن يدى احلادين ثم عد بهم علي الادك واوقفهم على ولاحبه من سوقى من الحقول والصحارى يشتغل سحابة يومه ثم يعود فى مسائه الى حصائر (١) سود . يأويهم ما فيها من قذارات وبكب على النبعة والبسة يشرب كدر الماء (٢) ورنقة فيها اعي الصغار ورى الطفل حتى لا يشب فى حجر الفساد فيحرم مما قد اثبا

(١) جمع حصة وهي العمع يوصعه بطعامه كاثريد والعة وما شاكله
(٢) الكدر والرنق الماء العكر

قل لها ماأكثر الجرائم فى بلادنا وما اسرع أن يقتل الرجل اخاه من أجل دجاجة أو بيضة ؛ وما أقطع ضرب الفأس يوم المناوبة على الماء قل لها ياوزارة المعارف ان مفتاح الامن وسعادة الشعب في يدك فادلفيه الى الناس حتى تطمئن النفوس وترقى البلاد وتسعد العباد

وكان هذا القول غاية كلامه وختام حديثه فلم أرأسلس من قوله ولاأعذب من كلمه ولا أبعد من نظره ولا أحكم من رأيه ، حتي لتحال ذمته يقيناً لغيره وفكرته نظرية اسواه ، وفقه الله لخيره وهداه بهم بالانصراف فهم الدمع من عينيه فانحدر مدرارا (١) وجاراه ماقي عيني فأرسل لؤلؤا هتونا (٢) وتعانقنا عناق الوداع وتصافح أللا ئلاق وانصرفنا واسان الحال يقول

لو كنت أعلم أن آخر عهدنا يوم الفراق فعلت مالم أفعل (٣)

ولم اسر غير قليل حتي شعرت بما يشعر به كل محب من اضطراب فى الفكر واشتغال بالبال وانقباض فى الصدر واعتلال فى المزاج

---

(١) اى غزيرا (٢) هتن المطر والدمع اى قطر (٣) لعل بعض القراء يعزب عن باله مراد الشاعر من قوله فعلت مالم أفعل فنقول سئل عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير ما كان حدك صانعا فى قوله « فعلت مالم أفعل » قال

عند افتراق محبوبه وأردت الطوف بالمدينة والسياحة فيها علي أعثر على ما يخفف ألم نفسي ويسكن اضطراب فكري فغشيت أنديتها ومجتمعاتها واندسيت بين زوارها وروادها ولا هم لي الا التفرس في الجالسين والتطلع للمتسامرين والتشوف لسماع ما به يتحدثون وكان هناك شابان قد اعتزلا الناس وجلسا على انفراد في احدى زوايا المكان يقلب احدهما على كتاب يتصفح صفحاته والآخر قد وضع يده على جبهته كأن به انشغالا في الفكر يريد التخلص منه فخاطبه جليسه بعد ان وضع كتابه وقال ما بالك مطأطأ الرأس كأن بك فكرا اشغل بالك ؛ فقال له نعم أني افكر في الزواج الذي صار أمره على نحو ما ترى من الزهد فيه والتخلص منه وأصبح الناس من دقتي قول القائل الذي شبهه بأنه « حصن يود المقيم فيه الخروج منه والخارج عنه الدخول فيه » ولكن ما أكثر الخارج وما أقل الداخل فهل من علة لذلك وهل من دواء له ؟

كان يبلع عينيه حتى لا يرى مطعن أحمائه ثم أنشأ يقول

وماوجد مغلول بصنعاء موثق ... بساقيه من ماء الحديد كبول

قليل الموالى مسلم بجريرة ... له بعد نومات العيون اليل

يقول له الحداد أنت معذب ... غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكثر مني لوعة يوم راعني ... فراق حبيبي ما اليه سبيل

وأجابه صديقه بقوله أعلم أن الأيام دول وكل حال هي في طبق
( ) عن أمك الماضية وأيامك الحاضرة كن يتعيش فيها الكفاف
وتجمع القليل من الزاد ومن اللباس والشراب وبين القليل من
الـ ... مكتفيا ... من الأثاث واللوازم من الرياش فلا
صرف كثير ولا عبء ثقيل الك أيام البساطة وحسن السذاجة
كان الزواج ميسورا عاقبته الهنيئة يؤم مقصده المعمران

أما وقد ذهبت تلك الأيام الأولى ببساطتها وجاءت زمناً
غير زمن ورجالا غير رجال وترقى الانسان فأوجد تجدده وأحدث
فكره أنواع ... وشتى الكماليات . فالنعم والترف وتطالع
بعضهم لبعض وأصبح ما زماً بحكم المحاكاة وعادة المجاراة للكثير
من أن يعدق الزواج ورغب عنه طالما نفسه عدم المقدرة
عليه لكثرة مئونته وكبير كلفته فالترف والنعيم والمال الكثير
كل ذلك ...

وأنى أرى أن أنفع الوسائل وانجع الادوية العملية هو أن
يسن دون مرض فيه على كل أيم (٢) ضريبة يدفعها مادام أعزبا

(١) حال قال تعالى لتركبن طبقاً عن طبق أى حالا بعد حال
(٢) الأيم من لا زوج له ذكراً كان أو انثى قال تعالى وانكحوا

كما يلزم تقليل المرور ولو بطريقة قوية فتصلح الحال وتكثر
الولدان وتعمر بهم الاوطان

فقال له صديقه قد عرفت ذنب وقيمته ولكن هل من
أن المرأة والرجل سيان في هذه [illegible] محاسن [illegible] كان
فلابد [illegible] نسب

[illegible]

عقلا وأركى لنا من المرأة ، أضبط لنفسه وأقدر على كبح جماحها والترفع بها عن مواطن الشبهات وبؤر الفساد فكان اللبق به وأجدر أن يتخلى عن السير وراء رسول السوء وبريد الدمار ،

فان المرأة مهما تفننت فى استدراجه لا تخرج عن كونها أشبه بالتاجر الذى يعرض بضاعته على السوق ، فان راجت تمادى فى عرضها واستكثر من استجلابها وان رأى أن تجارته قد كسدت وبارت فما ربحت . ترك بضاعته واتخذ لنفسه سبيلا غير ذلك . فلو رأت المرأة اعراضا من الرجال واستخفافا بها تتجر به لاقلعت عن غيها وثابت لرشدها وقرت فى بيتها ، والله غفور رحيم فتشكر الصديق صديقه على ما به من العلم اولاه وللقول الرشيد الذى ابداه وانا لك شمت وأنا أقول حقا ما أصدق الذى قال « الاندية العامية ملهى الامم الحية »

ورأيت أن أزور البارات والحانات ، وأرى الكاسات والطاسات ، فيممت ساحاتها واقتحمت ردهاتها وقد جلس فيها الجالسون حول الموائد يشربون وللسم الزعاف يتجرعون وبعض القوم ينطقون سكارى حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ولا يعقلون

ما يقولون دهب ابهم وصاع رشدهم سابحين غارقين في بحر الضلالة ومنه يشربون ورأيت على أحد الموائد فتية لارابع لهم قد جلسوا وجلس بينهم شاب قد أخذا يعلطان له في الاعبان ويمسيان عليه وهو عامدا نفسه ويأبى متابعتهما فيما به يشيران فدنوت منهم فاذا باحد الاثنين يقول ، لماذا لاتشرب متاما . أفي السرور ملام . ألست بفتى ثري غني لطيف ظريف . قال ، بلى ، ولكن أرى أن نفسي أن أداسيها وعقلي أن أذهبه وبدني أن أرققه (١) فلا طمعان أن أماريكما فقال الآخر منهما عجباً لك أيها الصديق أتغضب مجلس صديقين من أجل أمر هين من كهذا ؟

فقال لست في ذات صديق لكما ولا موافقاً خطتكما : ولو دريت أن الصديق متى ذلك من الصرفا عجبت ولا عصبت قال أحد الرفيقين كيف لا نعصب وكيف على حالة هذه معنا نصبر قال أن الذي تخيل بك ولرفيقك . أيها الصديق . أنه أمر هين ، انما هو أمر صعب صرره وأصبح وعيه فصيح وأنه راجح وقد قيل أن أحد الولاة في الزمن الماضي عرف رجلا

(١) تسلهى فيه

رأي اداته فاستحضر له سيفاً وخمرا وامرأة وخيره فى فعل واحدة من ثلاث أما أن يقتل المرأة أو يفسق بها أو يشرب الخمر فاستخف الرجل شرب الخمر التي تسحرها الان ـ فشربها فلما دارت برأسه وذهبت نيراه (١) . قام للمرأة وفسق بها ثم زين له القتل فقتلها فاقترف بذلك الاثام الثلاث ولما أفاق الرجل من نشوته ورأى فعلته . أن وبكى وحن واشتكى وقال حقاً ما اصدق الذي قال ؛ الخمر أم الخبائث »

فقال [illegible] لو كان هتل اوربي لنال هذا الاحترام البالي . الا انه لا [illegible] يثبت أمرا [illegible] الصديق والخمر فلا [illegible] [illegible] لاحلال وقد [illegible] جميع [illegible] الارض كاساتهم فعمر [illegible] وعلى [illegible] حروبها

و[illegible] المكان [illegible] لى [illegible] الى المواخير

[illegible] [illegible] عليها من [illegible] الكلام [illegible] أن [illegible] ذلك [illegible] [illegible] [illegible] الى وأى [illegible]

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] حورد وهر [illegible] لنحس

فتاة بائسة

(لصادق افندي)

وقد نظم الموت في سلك العدم أبوين مصيبين عن فتاة بكر كانت بائسة في سن البدر وبقيت وحدها لا نصير لها ولا تحدث عليها أم ولا يعرها حال ؛ ومضت برد شباب الدهر وكانت كما حد منها الحزن أعطاها الحسن

وبعد فترة حضنها خاطب [illegible] علامة وصفته كأنه مع السماء شرف ساطع ولكنه [illegible] الساعة [illegible] من ذلك ما أن [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

على [illegible]

الله أن يجعل [illegible]

[illegible]

وجعل اهلها يجهزونها وجعلت عين الدهر تفتح عليهم فلما كانت ليلة الزفاف . خرج الشاب فى حاجة فما رجع الا محمولا على الايدى

فجاءت امه فلم تنشق جيبا ولم ترسل دمعا ولم تلطم خدا ولم تلدم [1] صدرا ، ولكنها طوقته بذراعيها وشق نصرها اليه ثم عالج من حضر ان يحولوا بينهما فاذا هي لاحراك بها وشيعت الجنازتان معا ودفن الولد وامه فى قبر واحد (انتهى)

ولقد تفطر فؤادى من جراء ذلك فتركته وتركت الرحمان تجرى [2] قاصدا المنام لأريح الجسمان

وبينما انا سائر استوقفني مسوف قمينته فاذا به سيدة عينها وعثاء السفر قد اضناها نصبه ولحقها الوجى فباتت والدمع يترقرق في عينيها . فما هي تعي فتطيل ولا تسائل فتتسول ولكنها نبيلة المدت ربيعة المظهر غريبة قد ضلت الطريق وتاهت عن الرفيق عند الخروج والنزول من المركب . الك انها الشاب فى المكرمات نصيب فلت انى لها العصد الامن فما خطبك يا اماه وماذا تطلبين ،

(١) التلدم هو الضرب بطن الكف على الصدر «٢» تتابع

قالت اريد ان تنقدني نقدا اكثري به عربة توصلني الى الدار فقد شط على المزار فاستدعيت في الحال مركبة قلنا الى منزلها حتي اذا ماوصلنا وابرأتها بالاجلال والاكرام . رمت الرجوع والذهاب الى المنام فامسكت بذيلي وتعلقت بقميصي واقسمت الاقسام ، واكدت الايمان ، الامارات بدارها وشربت ماءها وا كلت زادها جزاء على اكرامها فحاولت التخلص ولكن عبثا حاولت فدخلنا ودخلت على زوجها الذي استيقظ من منامه والذي أخذ يسألها عن شأني فقصت عليه القصة وتاثر من الادب والمروءة أن يعمل معي هذا الجميل ولا ادعوه لتناول طعامنا فاكرمني الرجل في عينه وحضر مسامرتي وتساهدنا بعضنا بعضا فعلمت منه أنه موظف في احد الدواوين ، وعلم مني محل عملي وردته سكني الذي استبعدته عن مكانه حتي يصير لي تصير على العودة مبكرا . ولكن الرجل كان يرسل الحديث بعضه بعض كأنه الحلقة المفرغة لا يعلم أين طرفها . فم أر من الليقان[٣] بركه وحديثه هذا وقدمضى من الليل شطره الاول فاستاذنته في الخروج . فعرض الرجل وماثم وشدد و لم عير

(٢) تتابع (٣) يعان البيق و لمبتاد لا اللياقة

أني عائد وصممت على الذهاب فلم يرَ الرجل بداً من النزول
على رأيي ورافقه معي لوداعي كما تقضي بذلك سنن الآداب

وحين أن الليل قد أدبر وهدأت الحركات وقلت المركبات.
وكن سكانه في أخفى خبائهم سرت وسار الرجل معي الى
النعمة الخضراء لأتخذ منها مركبة الى منزلي

وما كنا قرب من المكان حتى استوقفني الرجل وأقسم
قسماً عظيماً أن أرجع [illegible] معه
[illegible] الرجل في [illegible] سراي وأخذ في مؤانستي حتى
[illegible] يوم الخميس ورسول الكرى
[illegible] الرجل وعمت كآبته على [illegible]
[illegible] الصبح وأفاق ضوء السحر وأخذ
[illegible] على [illegible] أعصاب
[illegible] بذلك توحيد العزيز الرحمان
[illegible] لأداء دين الدائن فقمت وقام الرجل
[illegible] متأبطاً حسابياً [illegible] حاوى
[illegible] الأبواب [illegible]

[illegible] الموه [illegible] هو [illegible] الصغرى

الأسواق أحد الرجال في يده منديل ... واستأذن في الخروج
فخرج وأمسك انتظر عودته عودة ولكنها طالت فتذ أخذ
الزمن يحين ثم يمر ثم يأزف ، حتى إذا كانت لحظة الحيرة
أوقفت الدواوين ولم يحضر عزمت على الخروج ... من
ربة البيت الاستئذان ولم يرد على أحد فدنوت من غرفة ميلها
وطرقت بابها فلم تجب ... فوقفت متحيرة من الخروج
بغير إذن ... فتح الباب عليها ولكني دفعت الباب فانفتح
عن سرير فوقه السيدة بحليها وحليها ... [illegible]
كررة مرة أخرى ولما أسمع جوابا ... من السرير
وكشفت عن غطائها وإذا هي جثة هامدة ... باردة فخارت
عزيمتي وارتعدت فرائصي وخارت قوى ... مسرعا
هاربا حتى غادرت الدار

ولما كان الحادث عظيما ولا ... فكرت في
الجلوس قرب الدار ومكاتبة البوليس ... عذرا
شديدا منعني عن الحضور . لأرى ... وأشاهد ... ،
ولما رجع الرجل ورأى ... رجع ... وجه ...
ولم ترد له جوابا ووجدها في عالم الآخرة قرت ، كي الرجل

وبدب حطه وصرح من أم رأسه صرحة اتى علي سمعها الماس من كل حدب وصوب يتسالون ويسألون فقص الرحل عليهم قصته فأجمع الكل على اداتى ولم يخالف دلك سوى رحل واحد قد بور الله قلبه

ولما بلعت الحادثة لرحال الصبط وحصر الطبيب لا كشف على الميت قرر أن الموت عادى وأن سببه سكتة قاسية فبردت حمية القوم من جهتي خصوصاً وانهم رأوا حلى السيدة حاصرا ومتاع البيت كله كاملا ولكن طبهم السوء لا يزال يعصبهم عالقاً ولما جرت الحمار وسارت للمدفن جهة العفيفي ، تركت مجلسي وتابعت الحمارة ابتغاء مرضاة الله وترحماً على الفقيدة في مؤخرة القوم وما زلت سائرا على هـذه الحال وقد شاهدت صاحبي يسير حلف النعش وقد صار على مقربة مني ، فلم احفل به وقلت لعله ذاهل العقل فلا يعرفني أو يعرفني فلا يشكني ، فمشيت ، حتي اذا أتى الحمار علي آخر شارع الدراسة ، فما كاد يعطف يميناً حتي صرت والرجل كتفاً لكتف وحك كتفه كتفي نظر الي وحملق وقال هدا غريمي هدا قاتل روحي ومسك تلابيبي فقلت مالي وزوجك أيها الرجل وأنا لا أعرف من

شأنك شيئاً دعني ولا تحرف ولا تعطلني عن أشغالي فقال الرجل أقتلا وافتئاتاً ، تالله لا قتصن منك لنفسي قبل اقتصاص العصاء منك ثم صفعني ولطمني بيده لطمة قوية صرخت لشدتها صرخة انتبهت منها لنفسي فاذا بي أحلم نائم في سريري بين أحبابي وأترابي هادئ البال موقناً بحسن المآل داعياً بحسن الختام في البداية والنهاية راجياً من حضرات القراء التجاوز عما يرونه من الخطأ والله يغفر لي ولهم والسلام ؟

فهرس

جدول اهم الخطأ المطبعي الذي وقع في هذا الكتاب

خطأ	صواب	ص	س
ما أحد	مأحد	٥	٦
حقيف	حصف	٧	٨
اللامع (٣)	(٣) اللامع	١٠	١٦
المتلالئ	المتلألئ		
الحادنة	الحارية	١١	٨
لرمن	الرمن	١٤	٩
الصُّحداء	الصَّعْداء	١٥	٣
مر	من	١٥	١٠
ولم	أو ما	٢٣	٢
فقو	فتر	٢٥	١٤
المطس	العطس	٢٠	١٧
ركان	وكان	٢٥	٨
سهما	آتهما	٢٦	٥
وتهما	(وتيهماه)	٢	١
يشرح	تشرح	٣٠	٢
ل	الى	٣	١٧
العقير	لعقير	٣٢	٩
المسعقمل	المستعمل	٣٥	١٢
د	اد	٣٦	١٥

خطأ	صواب	ص	س
تما (٣)	ثما (٣)	٤٣	١٢
تما لكم	لكم		
الردح	الروح	٤٨	٩
هل هل	هل	٤٨	١٥
علطه	عاطه	٥٣	١٠
مصها	بيصتها	٦	٤
قاما ما	وقد ما كانت	٦٢	٩
حدوصا	خصوصا	٦٣	١٦
لامم	لاهم	٦٤	١٦
ومه	فامع	«	«
حابدا	حوفدا	٦٨	١٧
لعمس	لعمس	«	١٣
عما	عما	٧٥	٣
الحدس	الحيش	٧٨	١٧
تقد	تتقد	٧٩	٣
يده	بيده	٨١	١
احدىدا	حديدا	٨٤	١٧
٥٥ صمد	ووصمد	٨٩	٦